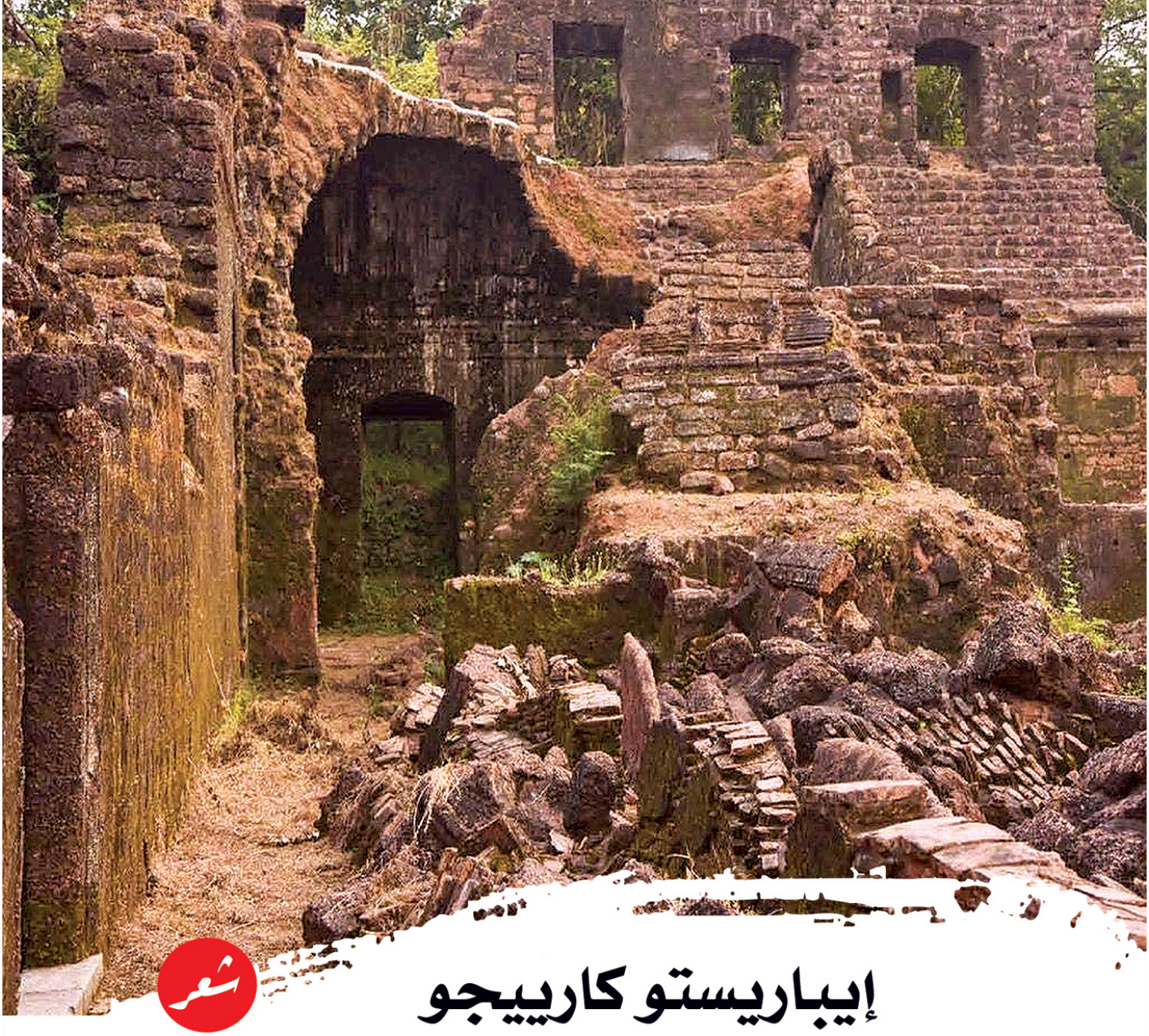

شعر

إيباريستو كارييجو

قداسات هرطقية

ترجمة : عبد السلام باشا

قداسات هرطقية

إيباريستو كاريجو

شعر

ترجمة

عبدالسلام باشا

عظات قديمة

إلى روح دون كيخوته

بأقصى حدٍّ من البساطة والتواضع في الشكل،
بندمٍ صادقٍ؛ برهافةٍ واعتدالٍ،

ولتفادي الوقوع في سخرياتٍ اعتيادية،
من دون غضب مُضحكٍ أو أداءٍ مسرحي

لممثل كوميدي متمرد، يتناول عشاءه مع الفرقة، وفي أثناء ذلك،

يتدرب على البكاء المأساوي الذي سيبكيه في المسرحية الهزلية،
أهدي هذه العظات، دون حاجة إلى مبررات، فقط لأنني أريد،
إلى الفارس الشهير، الوحيد، الأسمى،

الذي أطلبُ منه أن يأخذ بيدي ويرشدني دومًا،

إلى قديس القديسين، دون ألونسو كيخانو

الموجود الآن في الأمجاد السماوية، على يمين الراعي الصالح،

أخيه الجميل يسوع الناصري،

بخيبة الأمل من فروسيته،

مُتبرئًا من كل خساتنا.

لكنني أخشى من مجيء مُستَظرِفٍ ما

بسخريات لطيفة جديرة بشخصٍ خفيف الظل،
أو باستهزاءت لاذعة من ساخرٍ جارحٍ،

ليكتشفَ، بجديةٍ وبسخرية بالغتين،

-فحماقة سانشو تُدعى سخرية-

أن حبي للمُعلِّم يتحولُ إلى هوسٍ.

لأن الأمور تسير هكذا؛ أبسط الاعتقادات
تتطلب موافقة ومباركة العلم:
إن لم تلتزم بالعلم، لا تزدهر،

وربما تفقد اسمها ذاته، لتصبح مجرد «حالة».

ولم يعد الأمر يستحق العناء (هذه ليست مُجرد ذريعة عفو الخاطر لرفض شيءٍ نافعٍ)،

أن يأخذ المرء على محمل الجد ما هو غامضٌ، خيالي،
والعقائد التي تفوح برائحة المعامل.

العبارات في المدرجات، إنها الإهانات والكنيات البذيئة

الجديرة بأعراق المسيح والكيخوته

-ليس الكثيرون بجديرين بمعاناة الاحتقار

في التصفيق المدوي الصادر من أحشاء النزقين-

في هذا الزمن الوحشي حيث تقوم المستشفيات

التي تسير على موضة قواعد النظافة،
بإعطاء محاليل دوجماتية...

أساتذة جامعيون، بل وخالعو الضروس أيضًا،
يدشنون جمعيات ومدارس نخبوية،
بها مُعلمون جادون متجهمون،
حيث لا يمكن للحالمين المساكين

أن يقرؤوا أحلامهم في معاجمهم...

لقد تعب الناس من المجانين الكبار:
وهكذا، يا مُعلمي المقدس، رأيت
حمارَ تابعك الرائعَ يمرُّ مُثقلًا،
بالغنائم التي فزتَ بها،
بينما كان حصانك الحزين، روثينانته، يسير عاريًا،

وبحال يرثى لها، دون فارس بعد!

(إن عرفتَ، يا مُعلِّمي، منذ أن هجرتنا،

وحملتَ الدرعَ، على هيئة قلب، الذي كنت تمتشقه إلى الأمجاد،
تسير أمورناً على نحو رائع:
كلها صائبة لدرجة أنني لا أجرؤ على الوصف،

-اليوم، تسود رجاحة العقل.
شرفُ رمحك لا وزن له في خُرجِ البدين سانشو بانثا.

أصبح أكثر أتباعك إخلاصًا من الباعة والتجار
ويتوخون ألا يكتشفهم أيُّ شخصٍ.

لكن، انتظر، فعندما يقرر أندريس[1] الكلام،

سترى أي أشياء رائعة سيحكيها لك
- على الرغم من أن هناك خبرًا سيئًا، فمنذ وقت قليل:

ذلك الذي بدت عليه بوادر الجنون أيضًا،
ابن عمك الموجود في هذه الأراضي الهندية الهمجية،

-يا للحسرة على فروسيتك القديمة!-

ابن عمك خوان موريرا[2]، الذي انهزم في النهاية
أمام ظهور التلغراف، سقط للأبد،

لكنه لم يستعد عقله ثانيةً: خطيئتك التي لا تُصدَّق...

- إن عرفت يا مُعلِّم، كيف دفعنا ثمن هذا!-

خطيئتك التي لا تُصدَّق...!

السقوط في خرف التذرع بالعقل خوفًا من العواقب!).

للبحث في الكهف، المترع بالحطام،

لا توجد حاجة لغزواتٍ تتطلَّب تضحياتٍ:
دون الكثير من الشجاعة، فإن أي أبله محظوظ

سيكون هو المنتصر والقوي في هذه المنافسات،
فالأمر كله يتلخص في الجلافة.
الطريق المنحرف سيهدر الجائزة المُستحقة للمُجتهد...
لهذا، عندما تحين الساعة المُهابة
للتعبير المُعذب لاعتراض كاشف عن المشاعر،
فإن الوجه يكتسي بدفاع ثلجي أمام قبلة الحزين؛

ولأنهم يجب أن يُغرقوا أنفسهم، لتفادي شرورٍ أكبر،

الحصارات القاسية للأصوات
الرومانسية للتمرد -كيخوتية غير واعية-
تُصبح عضلات القلب الخائنة
أقوى أيضًا، بحزم، وحكمة،

كما عضلات الذراع، في تدريبات رياضية صحية على الأنانية،

حيث يرتد الألم دون أن يؤثر
في الكتلة القاسية، الضرورية، من الدرع الحديدي:

من لا يتفوق على الحديد لا ينتمي لهذا القرن: ينقرض.

-كم هي جميلة صفة عدم الإحساس في الأحجار!-

الحلم عقيم، والتأملات
عادة ما تكون مُقدمة للإذعانات.
الحلم هو نُدبة الأنيميا في الطاقة؛
ثنية البطن –شكل هندسي رائع-
ربما تكون بدايةً لإثبات نظرية مُستقبلية.

والتي لم تفطن لها القصائد...

في العصر العملي للصوف والخنزير،

-أنت ذاتك يا مُعلِّم، ستجد نفسك عاقلًا اليوم-
بعيدةٌ للغاية، توجدُ مثالياتُ

أولئك الغنائيين المثيرين للاضطرابات وغير الطبيعين.

البطنُ عاقل، لأنه رأسٌ

لم يرغب مُطلقًا في معرفة أي جمال آخر
سوى عمليات هضمه الحكيمة المتكررة:
نتاجٌ لأكثر العمليات العقلية منطقيةً.
لهذا، بمنتهى الأمانة، يتم وزن مزايا العبقرية، في كفة ميزان المنفعة،
وإن كان الأنبياء الحالمون يتعرضون للاضطهاد
فإن من يُربون بُطونهم يحظون بالثناء.

ولا رجعة عن هذا، ففي المنتصف يوجد المنطق،
الذي تم الإذعان له، بعدم وجود حلٍ لهذا...

كما يحدث، أحيانًا، في الكتاب الإجباري،

إنجيل هذا الوسط، المقرر على الجميع،

عندما يُترجم تعبيرٌ رجولي إلى تجديف،
وتحذفه الأكاديمية اللغوية لإفراطه في البذاءة...

تشعر الأخلاق بالخجل من لعنات الاندفاعات الصحية
التي تخترق معارف الكلام المهذب.

صدرُ أفضل اللاعنين
الذي يحرق ندوبه بطريقة فلسفية،

دون اكتراث كبير، قبل أن ينطلق بالبوح بحقائق
دائمًا ما يوجد بها الكثير من النزق الساذج؛

لأن من يجيء مشحونًا بتعبيرات تراجيدية،

مُحاولًا البوح بشكواه وآلامه، ومفسدًا للكوميديا،
وحينئذ، تبدو لأسماع الكثيرين كصلوات حزينة،
عوضًا عن أن تكون شكاوى حالمٍ باليوتوبيا وغريب الأطوار...

لهذا، أنا الخطَّاء النادم، أُقرُّ

-يجب أن أعترف بهذا- أنني كنتُ ساذجًا حالمًا

بصيغ وأفكار تثير الضحك،
أما الآن فلاَ أفكر سوى أن أتبع بسرعة،
الطريق الهادئ، الخالي من الأخطار العنيفة

التي دهنت بنبات المُر الفاضح
النباتاتِ الجريئة التي داست على الزهور

الموضوعة في طريق الدروب المجيدة.
لكنني شفيت، لا للمزيد من الحماقات،

فالناس لا تريد تناول المزيد من الجنون...

تفتت برشان الكشف!
في الماء الهادئ للتنازلات.

لم أعد أبني قلاعًا تخيلية لا وجود لها،
برموز رومانسية لأبراج تنبؤية.
بل إنني حتى لم أعد أفكر في آلام الآخرين،

لأنني أعرف أن الكلمات لا تساوي صرخةً؛
ودون أن أكون متشائمًا، فإنني لا أقع في جنونِ

البحث عن صفحة هادئة البياض،
حيث يمكن كتابة أغنية فائقة الروعة

يجب أن يُغنيها إنسانٌ من مُستقبل مُحتمل.

1 صبي فلاح يظهر للمرة الأولى في الفصل الرابع من الجزء الأول لدون كيخوته.

2 «خوان موريرا» هو عنوان رواية جاوتشية كلاسيكية للكاتب الأرجنتيني إدواردو جوتثيرت، ونُشرت على حلقات في جريدة «لا باتريا» بين عامي ١٨٧٩ و ١٨٨٠.

المراحل الأخيرة

ها نحن في الطريق،

قوة الدفع تحفزنا على المواصلة،
دون توقفات، بإيقاع هادئ،
بالقضية الحاملة لفكرة مثالية عظيمة،

التي تلوح بأحلام الأمل
مثل رايات حمراء صغيرة طافية

في مزق لحم مُعذب.

تحفزنا على المواصلة.
دائمًا ما يترك الصراع شيئًا من الحمى في الروح،

وبريقًا في الجبهة، كما يترك في الحدقةِ
الرؤيا المُشرقة للمراحل؛
مراحل الألم، بعدما أصبحت نظريات

من العقائد الرائعة، والحِكمِ بلغة غير مفهومة

تتمشى في اندفاع حركة الجسارة،

مثل جيش أبيض من القصائد الغنائية
من أجل دروب خالدة مُتقدة!

المواصلة حتمية. كل الشكوك
التي تُثقل الرأس بحملها،

إنها أصفاد مهلكة في العقل

ومكانها الأفضل على الظهر.

لنلقي بها إذًا. أثناء التقدم

يوجد كندور الإنديز[3] جسور، لا يلمس الأرض:
الكندور هو الوله، لا يعتمد مُطلقًا،

على الحيوات المريضة بالصحة.

في الطريق نحو الأزرق: يجب النظرُ للنور،
حتى وإن غشيت قوتُه الأبصار.

الألق الأول يحرقُ،

بعد ليلة الكرب،

أول نظرةٍ تكتشفهم
مختبئين في العتمة المُخترَقةِ،
مثل المشعلةِ التي تحرق نارهُا
الذارعَ التي تحملها.

توقٌ للحب، يقوم مرضى

مستشفى المجانين الخاص بهذه الفكرة المثالية بنقل عدواها...

أيها المجانين، تعالوا! بينما أغني هنا،
أريدُ إطلاق قلبٍ بجناحين في الريحِ.

العقلاء العاديون يمكنهم، فقط، أن يلقونا بأحجار مرارتهم...

لا يوجد تردد!
امتلأ الطريقُ بالعزم القوي
لكن، بما أن الخطر لا يُواجه دائمًا من أجساد متحررة من الخوف،

من الضروري أيضًا

جعل ألسنة اللهب تلمع،
بالدفء الخصبِ للحماس،

وسط السكون المميت الذي يقبض على كل شيء،

مثل إزهارٍ ربيعيٍ في بلد الصقيع!

إن تشققت الأقدام في الطريق،

فإن الآثار ستكون أعمقَ، أكثر بكثير:
تكون الآثار الداميةُ أكثرَ وضوحًا
في الطريق المُلتهب الذي نقطعه

تزداد المحلمةُ حماسةً

بأنشودات الأمل الأخوية
الصادحة بين الصياح والموسيقى

بحرارة الاعتراضات الاندفاعية،
مثل قبلة سمكة

فوق ندبةٍ هائلةٍ تنهي يوم عملها،
وتنفجر مُطلقة عطورها

في زهور قانية الحُمرة.

كل زهور الحب الأبدي
التي تُعبق بروائحها القافلة الضخمة!

وفي المزمور الجماعي، الذي ينظمُ
إعصارًا وحشيًّا فوق السكون،
تأتي الأنشودة الهائلة التي
تنبئ، ببهجة وحشية للإلهة ديانا[4]
لاحتفالٍ يجوبُ كسطر شعريٍّ سامق

الهذيان الرائع للسلم الموسيقي،

المُستقبل الوشيك للانتصارات،
مُستقبلٌ ساعٍ وراء الانتقامات؛
اللحظة السامية عندما تهزُّ
الرؤيةُ الأرضية للأوغادِ الثمارَ المتجددة

في القوة المستمرة للعصارة،
في البذرة المضيئة التي تسقط

في إعادة بعث الأرواح،

مثل سائل منوي أشقر من شموسٍ

منسكب في بطن الندبة.

حلمٌ في الطريق،

يعاني من هوس الجبال،
تحت اكتمال الأفجار

التي تنير عثرات المسيرة!

لا يوجد عائقٌ ممكن:
إن وعد النهاية هو البداية.
يحترقُ في لهبِ المحرقة الأخلاقية،
الحطامُ الأسود لبرج الجهل العتيق،
أُمُّ هذا الخوف: المجهول،

الذي تجرحُ أحجبته الكثيفة،

في أكثر السجون الفكرية عُمقًا،

-برفض مفهوم اللاشيءِ-
تصبحُ حقيقةُ العلمِ عدالةً

لدى إدراك كينونة النيرفانا!

على مرِّ العصور، لم تنسج إنجازاتُ المواقف

قصائدَ في صفحاتها:

كتاب الشهداء لا يحتوي سوى على حكاية مأساوية العظمة،
وعلى دم يُزهرُ في العذابِ

زهورَ السوسن التي تبدو كوسم العار...

بوق العذابات الذي تمتد
أصواته عبر الأجيال!

كلُّ فكرةٍ كانت هذا. ألمٌ مُبارك

لجراحٍ تقيحُ بالخبرات!

فالمشنقة بجوار الصليب،

-ومن المُستحسنِ عدم الرغبةِ في فصلهما-

القائم الخشبي أو الحبل: لتتكلمَ العصور،
فالصليب والمشنقة أخان!

ولهذا في الحرب،

في الطريق نحو الحرب المقدسة،
فإن الغنائم، التي تتوج رايات الوحشية،
ما زالت دافئة كنماذج ذكورية مُشهرة

على ألق اللون القرمزي،

من فوق منابر حقيرة دامية

لقسسٍ ميتين ما زالوا يزعقون
بكلمات الحنق، وقد أصبحت كصلوات،
ويبشرون بعظات الانتقام!
عملٌ بائسٌ للكُره،

يُطلق عقال جحافل تهديداته،
ناطقًا بعبارته الهادمة

لأبناء العِرق المتجهمين المنَغصة حيواتهم.

اللحظات الهائلة للاختبار
تعرفُ أن المطارق لا تسحقُ

الاندفاعات الجميلة، التي تصبح أكثر جمالًا
بعد الضربة التي تسقط عليها؛
وأثناء الانتظار المتوتر،
للحظة الانهيار النهائي، المرحلة الأخيرة،

عبر الضباب الخفيف

الذي يمكنه أن يخفيَ المدينة البيضاء،
ويمكن الكشف، هناك، في أفق آخر،
عن أفجار رائعة تنهضُ،

الشرق الحلمي -يا مرحبًا!-
وعن أقواس قزح الأبدية الصباحية؛

أقواس مجيدة للانتصارات الجديدة
حيثما تمرُّ الملحمة!
شرف العرق على الوجوه،
فوق الجباه الخشنة، المتأملة،
كأنها تُفكرُ في حزنٍ قديمٍ،

يتحول هذا العرق بعد نهار عملٍ، إلى نقاط لانهائية،
هكذا أيضًا، بعد محاربات مجنونة طوال قرون،
تذوب ندبة الدم

في ماء العفو الذي يغسل كل شيء،

في ماء عذبٍ وتعميدي،
يمحو أكثر الآثارِ عارًا ومرارةً،

مثل نهر أردنٍ للنسيان
يُزيل حتى ذكرى البُقع!
يجب الاستمرار؛ فكل عطلةٍ

تجعل المسافات تبدو مستحيلة على الوصول.
في الإدراك العقيم للمستحيل،
تسترخي العضلات الأخلاقية،

وفي ظل الحماس الذي يضائلهِ الخوف،

تبدو أقربُ القمم بعيدةَ.

الصوت الهائل الناطق بالنداءات
يهز الجو بالصدى الهائل للنبرات الرعدية،
مُغطيًا المقابر بالسكون.
النداء الأخير الذي ينتشر

مع صيحات حراس العقول.

...تموت الكراهيةُ فتُحيلُ
قمعَ الصراع الهمجي إلى مداعبات،

مثل جرح ينفجر إلى زهورٍ
ويُعطرُ الضمادات الدامية!

...ها نحن في الطريق،

لا نتفادى العوائق وإنما نُبعدها.
الطريق الخالي من أي عقبةٍ
لم يكن أكثر الطرق جدارةً
بباطن القدم المليء بالجلد المتصلب
أثناء الصعود المؤلم

على الأرض المليئة بالأشواك التي يطرحها الحظُّ.

هكذا يسير الفيلق،

بينما يعبر المساحات الأخيرة التي تفصلُ

المُستقبل المحلوم عن الطريقِ المفتوح،
مثل طريق تنبؤي، حيث تسير ظلالُ الصمت الهاربة،

في انعكاسات طويلة، بينما تصيح بهتافات النصر
إن كانوا منتصرين في النهاية، وإن كانوا منهزمين:

يسقطون أمام الشمس، مثل النسور.

3 هو نوع من طيور قارة أمريكا الجنوبية ينتمي إلى فصيلة نسور العالم الجديد، وهو يعد أكبر الطيور في العالم على الإطلاق حيث يصل اتساع جناحيه إلى ٣.٢ أمتار.

4 هي آلهة الصيد والقمر والولادة في الميثولوجيا الرومانية، وهي مرتبطة بالحيوانات والنباتات البرية ولديها القوة للتحكم بها. وهي تعادل الإلهة أرتميس في الميثولوجيا الإغريقية.

موت البجعة

بعواء طويل حزين،

أعلنته البشارات الكئيبة،
أسرعت كل الكائنات الحية الضالة

لترك حُبِّ التقشف.

وعلى رأسهم جنيُّ الغابة،

ركضوا ليلةً ونهارًا،
ووصلوا كجيادٍ أسطورية

في قطيعٍ هائلِ العظمة.

وها هم. ها هي المشاعر الوحشية،
التي تعوي بها كورالات من الأسود الغنائية...

بينما هناك، في وداعة الجماد.

كأنما تبزغ من كابوس،

تنعقُ أوزة بعيدة عن الشاطئ
في الهناء الممتع للموت.

رِدَّة أندريس

١

حسنًا، ها أنا هنا، يا سادة. حسنًا... أنا أندريس،

ألا تتذكرونني؟ أنا ذلك الصبي الذي حرَّره الكيخوته العظيم ذات يوم

-لأن فروسيته كانت في محلها هناك-
من عاصفة العصي التي كان سيدي الغاضب

يُنزلها عليَّ بوحشية بينما هو هادئ،

كنتُ قد أوقعت بالسيد المجنون المسكين إهانةً حقيرةً،
عندما لعنت، بعد ذلك، دفاعه الشجاع،
لأتركه بعد ذلك غاضبًا، مطأطئ الرأس وخجلًا.

(أعرفُ أنني كنتُ نزقًا أحمق). بعد ذلك ندمت،

بعد مرور السنين، بعدما أدركتُ أنني

رددتُ على العمل الإنساني بفعل شديدة الخسة،
كنت راغبًا في مباركة الفارس النبيل،
سألتُ التاجرَ عن طريقه غير المعلوم

فحكى لي الماكرُ قصةَ موته بينما يضحك...

(منذ تلك اللحظة يبدأ حظي التعس).

٢

وهكذا، بعدما تركت الخدع الحقيرة،
أصبحتُ فارسًا جوالًا آخر، حالمًا ببطولات
فريدة ووحوش، في صراعات خطرة

لا يجعلها الانبهارُ رائعةً دائمًا

ولأن النحيف روثنانته كان يبدي ضجره بمالكه،
فقد بدَّلته بكلافيلينيو،

وجبتُ الأرضَ، بحثًا عن شرفٍ وشهرةٍ

أقدمهما لسيدتي الجميلة المجهولة،
التي قوبلت منها بالاحتقار والرفض

حتى انتهى بي الأمر مهزومًا أمام السحرة،
وأتوا بي إلى هذا السجن أو هذه المصحة العقلية،

مؤسسة حكيمة، جديرة بكل إطراءٍ،
حيثُ أُهنتُ دون توقف، وضُربتُ
مثل مُعلِّمي الطيب، ففكرتُ جديًّا

أن رفع الظلم ليس سوى جنون
لا يجلب الشرف سوى لفارس الظل الحزين[5].

٣

.... أعيش هنا في دعة وأسمنُ .آكل في هدوءٍ،
دون أن أتذكر مُطلقًا هزالي السابق

البالغَ الأحمق. حتى وإن كان على سبيل المزاح،

لا أقعُ أبدًا في خطيئة التوق للعودة إلى غشاوة البصر القديمة.

لا يوجد ركنٌ واحدٌ حيث أنظر
ولا أجدُ كيسًا وبطنًا، كشعارٍ للقرن...

وهكذا يسير كل هذا الأمر، بذات الطريقة

كما في الأزمان الغابرة في العصر السابق.

علية القوم، يعيشون في أمجاد سماوية قبل الأوان،

ومن لا يمتلكون أي شيءٍ، فليروحوا في داهية...
من الحراب الشهيرة في المبارزات السابقة،
اليوم، سيصنع التجار المهرةُ منها عصيًّا،
وسيخرجون بربح من خوذة ممبرينو

سيبيعون الأوعية الحقيرة لحفظ اللحم المقدد.

إن تحدث المرء مع دولثينيا عن الأشواق والوله

فليس من المستغرب أن تختلط الأفكار لما مر به في الفندق:
البشكونسيون الشجعان العمالقة، يتحولون الآن إلى لآلئ وجواهر.

بازسيليو في كرب: على الرغم من أن الفتى شجاع،
فإن حنكته لا تساوي ما في آنية كامتشو.

حتى آلدونثا لورينثو، ابنة كورتشويلو،

تتنكر للجلد المتصلب الذي ورثته عن جدها.

-على الرغم من أنها قد أصبحت سيدةً الآن،
لا أعرف لماذا تصدر عنها رائحة الثوم العنيفة-.
بالنسبة لمن يحررون البغال المربوطة معًا،
الآن كما في السابق، يوجد رميٌ مُفرط بالأحجار.

خينيسيو لم يعد مُحرك دمي:

بطرق غير شريفة ترقى إلى بنكير.

الحلاق والقس، يناديان على عمليهما،

يعتصران الضمائر، ليغمسا بخبز شهي.
حامل البكالوريا كارراسكو، دون أن يستريح لحظةً،
يلقي بعظته، مُبهرًا البلهاء الذين سيصبحون تابعيه،

ومُخرسًا صيحة الأنقياء والشجعان.

(لم يكن مُعلِّمي المضروب سيسمح
أن يبول في زنزانته أيُّ غرٍّ تافه).

أهالي يانجواس الأغبياء، الماهرون في الرعي،
يرعون أناث أفراس الآخرين، ويُلقبون بالسفلة.
لنتقصَّ ونوقع العدالة -مسكينة الملكة ميكوميكونا!-
يمكن لأي مارد كمالبرونو أن يسلبها العرش.

فرسان النهار، يخرجون عن الطريق

إن رأوا من بعيد أجنحة طاحونة هواء؛
على الرغم من أن لا قيمة كبيرة اليومَ للنبلاء الشرفاء

الأقوياء المُلاحقين للشطار والأوغاد،

لأن الفتيات والأرامل يجدن الملاذ
في مواخير الخطابة تلك، والتي يُطلق عليها اسم مجالس-

هذا شبيهٌ للغاية بما حدث -ربما فيما يتعلق بالرائحة-
قبل أن يهجم سانشو على مطارق الطاحونة
بسبب حاجة عاجلة، في موقف حرج للغاية،
يوجد هنا شيءٌ ما يُطلق عليه السياسة.

الحُكام يحصلون على ألف إكرامية يومية،
ويهرشون رؤوسهم ويأكلون في جزر باراتاريا تلك،

لأنه خلف سر المصائر الكبيرة

لا يوجد من يهبط إلى كهف مونتيسينوس العميق.

٤

تلخيصًا... ساكنون فضوليون: أفكرُ بخبثٍ
أن هذا لغو كثير، وربما أستحقُّ

أن يحممني الممرض الفظ الذي يرعاني في مرضي،

-وأقول صادقًا، ليشنقوني إن كنت أعرف ما هو مرضي-

ومن الأفضل عدم التطرق لهذا. وهكذا... أيها السادة
حتى يسمح لي أطبائي المداوين
بسخريات رفيعة جديدة، وإن لم يكن لديكم تحفظٌ على الاستماع،

من حين لآخر، لهذه الحالة الغريبة للغاية

التي لم تشهدها الإنسانية سوى مرتين،

ولم يكونا سوى دون كيخوته والمسيح.
ستجدونني هنا دائمًا،
مُستجيبًا لطلبات الأسئلة الرزينة والاقتراحات اللامعة

من الأطباء الجادين أو من حضراتكم،
صريحٌ ومُعتدلٌ عاقلٌ كما ترونني...

5 أحد ألقاب دون كيخوته.

رسائل

إلى دونيا سيا دا سيلفا دي ماس إي بي
كلمات لدفتر الكتابة عنها

إن كانت أوتاري هذه، ذات النبرات الخشنة
تُصدر تحياتي وتبجيلي بصوت يبدو لك فظًّا،

وكنتِ تريدين إيقاعات مرهفة بأفكار مثالية،
فلتنتظري شعراء حداثيين مرهفين

يمدحون، كالذهب، احتقارك المُحتمل،

ويتوجون صدغيك الأوليمبيين بالشعلات،
مُدلهون بزهرة الزنبق البيضاء في شعار أرستقراطيتك،

بينما أصبغ بأحمر القرنفل شجاعتي،
أو انتظري، غاوية، أن يقوم صاغة عفا عليهم الزمن

بنقش دروعك أثناء حمى إبداعهم:

أما أنا أعمل على الحديد الصُّلب المُقسى:

الزجاج الرقيق الذي تصدر عنه الأصوات ينكسر في يديَّ.

*** * ***

شجرة نخيل برازيلية، تمنحين السائر الجريح
ثمرات بلحك من الألم والنسيان،
في الصحراء الوحيدة:
أنت الإلهة التي تحيطين أمراضه العصبية العديدة بهالة من الحرائق،
وتعبرين تأرجحات سهاده العميق
كأنك قمرُ ليالي ألمه.

أجيءُ إلى حديقتك بالقنبرة المحتضرة

التي، افتتحت، في آلة كمان الغابة،

السيمفونية الأرضية الخطاءة لذلك الشوق الأبدي،

الذي يفزع طيور الشتاء بنعومة،
وفي ساعات الهدوء يكشف رأسه
كرمز شائه على الحب والجمال.

* * *

... وتمرين، لكن ليس بمفردك، بينما تحدسين

بشرق ذهبي، ذلك الموات للعشاق،

مثل حبيبة مريضة تستدعي الوعود الروحية
في الليالي الرومانسية الطويلة؛

أو تنتظرين المحبوب، بينما تبتسمين، مثل بعض البطلات
اللائي ينتظرن الحب من الأقمار

بينما يتصفحن مختارات أدبية رفيعة مبهجة من بلاد الغال،
بأيدي جيوكوندا شاعرية من إيطاليا.

آه، الساحرات الرائعات
اللائي يناولن أسرارًا في اللحظات العابرة
للإمبراطوريات التي يعجز عنها الوصف...
التي زار الاحتضارُ حكامَها الرحيمين

وطغاتها الطامحين للإذعان!

* * *

أريد أن أهدي لك أشعارًا لأنني أتخيلك طيبةً
بخصال حميدة لا يمكنني تحديدها بدقة،

ولأنك سمراء مثل ملهمتي للوعود القديمة...

-آفاق زرقاء لأماكن بعيدة-

سخيةٌ، تُقدمين الملاذ من القساة الأجلاف،
مثل ثمرة حية من حدائقك النضرة،
الزهور التي لا تُنسى التي تضغط عليها شفتيك.

(آه، المحفزتان على الحلم وعلى الجريمة!)
حمامة هاربة من المدينة المُحاصرة،
حيث يموت الألم

تحت اللمسة العاشقة للعزاء: مدينةٌ حيث ترن الضحكات
مثل أجراس القدَّاسات المستقبلية!

* * *

وفوق ضجر تأملاتك،

كأنما في هروب متشعب في كل اتجاه،
تسمعين أغاني بموسيقى أرستقراطية، بموسيقى مجنونة،
تحرق الأشواق وتحمرُّ الأفواه

في قُبلٍ غزيرة، مُرطبة بالعسل

حتى إنها جعلت أكاليلَ تُزهر في الأرض القفر.
أما أنا، فسأضع على وجهك الأسمر زهور قرنفل،

المحبوبات المتوترات الحزينات للشعراء،

وهناك، في الأمسية الرطبة، المليئة بالتفاؤل،

عندما ينقشع كل صمتك الجاد،
تُعذبُ أشعاري الحديدية حنجرَتك،

وربما يجب أن تفكري أن الحديد هو ما يغني!

*** * ***

مثل فصول ربيع شقراء، تنفجر لتنير وتعطر هؤلاء السجينات

بكل سحرك. آه، يا للقصائد الوثنية!
بطلة وسيدة على قصائد مبهرة:

لكي يمكنك دائمًا أن تنظمي قنبراتك الصباحية وعصافيرك،
غاباتي في إقليم انتره ريوس[6]

تقدم لك قصائدي العاطفية. وهي في كل لحظة

تقدم لك القيثارات الكبيرة أكثر نغماتها نبلًا،
وتنفجر أطراف الأصابع حيث تعشش المتعة،

في المديح التمجيدي للحياة،

والتي تبزغ في الربيع الدافئ لساعاتك،

مثل قصيدة من الأفجار، أفجار أبدية!

6 هي إحدى محافظات الأرجنتين.

إلى كارلوس دي سوسينس[7]

فارس من فريبورج، من قلعة مغامرات،
استعادت نسوره الجسورةُ الفكرةَ المثاليةَ،

نسورٌ حالمة بأعشاش الأشعار المُستقبلية،
حدقة العين مفتوحة أمام الشمس، مُتوجةً الأعالي

أثناء طيران تناغمات المُهلمة الأوركسترالية.

مُستشرف لحلم ألهمَ بنبيذ إلهي،
حقول الكَرمِ الحزينة بأعناب أبريل الخاص بك...
أنت أيضًا سيصبح لك تمثال كمورجير[8]،
وسيُخلد الحي اللاتيني بوهيميتك؛
إعجازيٌّ، رحالة، رفيق السجن في البرج العاجي...

لتتحقق نبوءة داريو بمجدك،
عندما حدَّثك عن تمثال فوق قاعدة مهيبة؛

لتصهل أحصنتك بكلارينيت تألقك،
فعذراء الكفن لا تسيط ببردها

حديقةَ شعر ذات ربيعٍ أبدي.

في قُدَّاسات أفكارك، الأكثر وداعة، والأكثر تساؤلًا،
التي تغني لك وتكرسك هاربًا من فرلان[9]؛

وشخصيتا ميمي وموسيتا تنطقان باسمك بشفقة،
ويحكي شعراؤها ورساموها بتأثر

عندما يدخلون مُبشرين إلى مدينة قدسك الزرقاء.

أما أميراتك الشاحبات ذوات القلوب التي تفوق الوصف،
فيحملن زهور زنبق من قوافيك إلى باريس أسطورية...

لينقشِ صائغ الانتصارات في أشعارك الغنائية
كلَّ أكاليلك بأغصان زيتون وزهور زنبق
بالبرشان الأخوي لطقوس تناولك الرقيقة؟

ستكون حاضرًا في الذكرى، عندما تصبح ماضيًا،
مثل ذلك الشخص في الأسطورة الذي هدهدته نشوتك،

ستكون، للأبد، من برونز خالد،

كما تحتفظ ذكرياتك الطفولية، كشيء مقدس،
بتلك القبلة التي طبعها هوجو برقة في طفولتك

7 Charles de Soussens، (١٨٦٥- ١٩٢٧) كاتب من أصل فرنسي-سويسري، صديق لكاريجو، وكان عضوًا هامًّا في الأوساط الفنية والأدبية في بوينوس أيرس في بدايات القرن العشرين.

8 هنري مورجير، (١٨٢٢-١٨٦١) كاتب فرنسي، مؤلف رواية «مشاهد من الحياة البوهيمية».

9 بول فرلان (١٨٤٤-١٨٩٦)، شاعر فرنسي.

إلى خوان ماس إي بي

أريدُ تذوق النبيذ المُحفز للحنين
في الكأس الأسود الكبير للظل الذي يتقدَّم.

أريدُ الشرب من النبيذ الذي كنا نشربه معًا،

وهذه اللحظات ستصبح نُسخًا أصلية نبيلة من تلك الأوقات.

(لا أعرف لماذا قامت هذه الساعة الحزينة المُخرسة،

بملء عقلي بحمى تنبؤية).

على الرصيف المقابل، ترن الضحكة العالية

لفتاة مُبتهجة مثل ليلة عيد الميلاد.

الضاحية، المهجورة، تثير أورغونًا صغيرًا،

وماركيزات الماخور القذر يرقصن؛

وتأتي الذكريات، مُشوشة وغائمة،
مثل عودة مضطربة لأحلام ميتة...

...قرأتُ كتابَك. تحيةٌ يرتفعُ بها

صوتُ الحماس، الذي يدوم ويغني؛

الصوت المُشجع للاستطراد الطيب

في النظريات الطويل لتناولنا.

ذلك السيد شديد الجنون... -الابن الوحيد للرب،
والفارس الوحيد- آخى بين كلينا.

(على الرغم من أنك رغبتَ، لا أعرفُ لأي شكٍّ قاسٍ

لا يمكن البوح به، في أن تكفرَ به ذات مرة...

لكن، لقد غُفرَ لك. لكن أقولُ لك صدقًا،
إنك لن تنفد من العقاب الجدير بك في مرةٍ أخرى...).

وسط السكون الصارم للتأملات:

ألمٌ بسبب هوسك مستمر القلق.

بينما تفكر في اتجاهات الطرق الجديرة بالمدح

مرِض رأسُك بأحلامٍ مستحيلة..

أراكَ كما في الماضي، صلبًا في السرَّاء والضرَّاء،
مُفعمًا برغبة في حياة سامية.

بصيغك الحالية سحرت الحبيبات

اللائي يقدمن لك جمالًا مُعذبًا.

سكبت سلوى أفضل بشاراتك

في كوب الكرب: كأس المسكن الحقير

أنت مُحبٌّ للتعبير الجميل في ساعات التعاسة
لديك كبرياء نبيل لتغطية الندوب.

تنفر من هتافات الحشود الغفيرة

التي تذهب إلى القمم بملاحم قرونها الغابرة...

-رفيقي: لنكن في قُدَّاسنا اليومي
غواية وعظة وضجرًا؛ كل شيء بخلاف التوسل.

لنغنِّ على قيثارات العقائد المدوية
الأغنيةَ المُبشرة بأصبحة مشرقة.

الحياةُ ألمٌ دائمًا، ولهذا بَدل اسمك:
إنه الألم قد أصبح جسدًا والألم قد أصبح إنسانًا.

لنحررها، إذًا، من العدوى الخسة

التي تُضعف كُريات الذكورة في الدم.

في مسيرتنا إلى البلد الجديد ذي الغيوم الغائبة،

الذي أبصره المُنجمون العباقرة ذات يوم!

النصرُ يهزم الصمت، ويُبشر

بمزمور قتالي ذي كلمات فنية قوية.

لنضعَ في أعماق أكثر العبارات قدسيةً
قُبلاتٍ مواسية تخفف من العار.

في مسيرةٍ هائلة، يسير السرب الهزيل:
وتعضُّ ذئاب الجوع في الأحشاء.

يحرسه الغموض، ويحمل في عروقه
فيروسَ بؤسٍ حقير؛

لا يجب أن نخشى البرص الذي ينخر الأنذال:

ربما كانت نظافة الأصحاء المتطهرين أسوأ.

التعساء أيضًا يخلدون نُبلهم في تماثيل:

درع من خرق، شعارات نبالة من الندوب!

لنتخلص من كل الأحقاد في المعركة الأدبية...

شعارات للمصارعين الحديثين الشجعان!

سأنصب خيمتي في أي مكان حتى وإن كان اليباب

لانتظارك يا صديقي، بعد المنازلة،

هكذا إذًا، أرسل لك أشعاري، أشعاري المُعَذَّبة،
مثل زهور مُرَّة في حدائق مُغتصبة...

ولتكن أبياتي بشارات ودودة

لجيش غنائي من قصائد انتصارية!

إلى خ. خ. سويزا ريلي[10]

عالم الفلك الحالم، سمع من خطيباته، النجوم،
سرَّ بضعة أشياء جميلة للغاية،

حول عندليب مجنون، كان يغني للورود،

ووضع في سيمفونياته تلك الأشياء الغريبة.

كان تشخيصه النبيل

أن كلماته متألقة بشكل غامض مثل شرق نقي
في حالة تخمر لشموس. (ربما كانت نبوءة

من السحرة العباقرة في التجلي الأبيض)

كانت وعودًا جادة. كان كورالًا من النجوم

التي تترك وجوهها المضيئة أثناء التوقف:

أنا، مستغرقًا في ملهمتي المتوحشة، استدعيتهم،
وحينئذ تحدثت النجوم بصوت تماثيل البرونز.

وهكذا أصنع إيقاع تحية. إن عثرت على أغنية صلبة،
فلأن كل شطر به شيء من درع،
يحمي القلب من السهم الصديق:

الذي، عندما يخترق وينغرس، يُصبح سامًّا أحيانًا.

وفي الإهداء الذي أعمل فيه الآن، ربما

يساعدني بيروجويو[11]. العبقري البسيط!

... إنها أشعارٌ كأغصان شجرة عليق،
لكن في خشونتها وقسوتها توجد معانٍ كثيرة وحشية،
ذات جميل مُخيف.

ملحمة النصر صدحت عاليًا،
على وقع ركض قنطور أحمر في الفجر

يصلُ، مثل نبيلٍ من مدينة بعيدة،
ساعٍ خلف التحيةً والإكليل والهدف.

-موسيقى مزهرة في حديقة من المجد-

تعلن الأبواق عن النصر الوشيك،

وهناك، فوق أعشاش النسور،

هناك حلمٌ بضوء الشعلات المغروسة في أعلى القمم.

تصطف لدى كاتب سيرة الذكرى الحماسية،
بقايا مريرة لسلالة تعرضت للمعاناة،

مُتشردوك المأساويون، بطلاتك الحزينات،

حكمة مستشفيات المجاذيب، أعناق في المقاصل؛

كلابك الحالمة، بحنين للقمر،

تاريخ الألم البشرى حيث تتحد
القبلة والجريمة، المحبوبة والمُنتحر

الذي فرَّ من السجن وبعد ذلك من الحياة...
قاتلوك الهمجيون، حواريو الجريمة،
زهور الأقحوان المسكينة التي لا تحصل على الخلاص مُطلقًا،

شعراؤك السكارى، بجوع للألوهية والمجد،
أكثر من نيتشه سجناء في زنانزين الأمراض العصبية...

وكل ما عدا ذلك، كل شيء... جرح الألم،
المصبوغ باللون الأحمر لكل زهرة سوسن،

والآهة الأخيرة للطفل المُحتضر

الذي ذهب مثل خرقة طافية فوق العالم.

وما لن تفعل مُطلقًا: ما خبأت شفرتك،

روحك التي تحفظ المفتاح عندما تنغلق،

ما تركته الحياة، لأنه مشين ومسخي،
في جملة مُكسرة بتعبير مؤلم.

لتكن عقيدتك، يا أخي، مزيجًا من النور والحديد:
المنتصر وحشيٌّ والمنتقم قويٌّ عنيد،
لأن الطيبة ذاتها، ليست سوى الوهم
الذي يخفي الطابع البرجوازي للأنانية.

هكذا إذًا، لتستمر على شعارك: قوي مثل الموت،

لأبد الآبدين، لأن من تبقينا من هذا العرق القوي،
عرق دون كيخوته، نتناقص؛

-لم يتحدث الزرادشتيون المجانين عن البطون!-
ينطلق الفرسان الرحالة الحديثون برباطة جأش،

فما زال هناك نبلاء مميزون ضخام.

رأسٌ وذراع لإنجاز المهمة،

إن كان روثينانته ضعيفًا، ليأتِ كلافيلينيو!

أعطوا، دون خوف، أمثلةً على أفعال رجولية
أمام أقفاص كل الأسود،

والساخرِ الجبان الذي يغرس في جبهته
الجمالَ العادي الذي يجعله جارحًا.

أيها السادة الفرسان، لن تعرفوا جراح الضمادات الأنثوية،

عندما تبحثون عن المخاطر، في طرق مجهولة،
لكنكم ستعرفون الرماح،

ستعثرون على طواحين الهواء، والأكثر من هذا، على كباشٍ أيضًا،

مظالم وإهانات، وشرور أخرى قديمة،
أنذال وخونة ومتعجرفون وجبناء

وكل جوقة السحر الشرير

الذي جعل من البطن مثالًا وفكرة.

يا رفيقي! انهض متوجًا بالمستحيلات،
بالكيخوتية، واحمل، درعًا من العبقرية، وحياة من الكبرياء!
كأسلحة لا تُقهر،
عندما تبدأ في غزوة رمزية.

10 خوان خوسيه سويزا رايلي (١٨٨٠-١٩٥٩) كاتب وصحفي أرجنتيني.

11 شخصية من الأدب التقليدي، لا يوجد تاريخ محدد لظهورها. تظهر في أعمال مختلفة كشخصية كوميدية.

صلوات مهذبة

عن الهدنة

لحظةً واحدة فقط. أتيتُ لأغني لك
أغنية إكليل الغار، ارفعي جبهتك
فهي الوحيدة الجديرة بالحاضر
الذي سأترك لك في تحيتي!

سيكون بها كبرياء شعورك،

اليوم، مرة أخرى، الحالم المُتعب

الذي يقترب ليبحث هنا، إلى جوارك،
عن النسيان السخي للحظة.

وفي الهدنة العابرة،
بينما تُطلّ شمسك على حزني الغائم،

سيقبل الأسد شاكرًا،
أن تُمشطَ حمامةٌ لبدتَه.

غياب مُبهج لوحشيتي،
إذعانٌ مهذب مُعجب،

سيتركك تعلنين لي، بسطوةٍ

عن السمو الخالد لجمالك.

لكن، على الرغم من أن هذا ممكن،
لا أريد قيود خيوطك اللطيفة،

أو السلسلة الناعمة لذراعيك،
أو رقة أن يكون المرء سجينًا.
ولا تنتظري أن آتي لك بملاطفات،
لأنني لا يجب أن أخلع الدرع

ولا حتى كإجلالٍ لحُسنِك،
لأن الراحة من شغفيٍ قصيرة للغاية.

لا يمكنني الإذعان، ولا حتى أمام

العذوبة الوردية المسكرة لابتسامتك المبتهجة؛

الحديد يبدو قبيحًا بجوار الحرير،
والدرع لا يفيد كمروحة يدوية!

لكن، في الأغنية،
قبل أن تعود فكرتي المثالية القوية،

ربما سترين عودة طيور القنبرة إلى غابتي،
المضبوطة على ساعة مرورك.

على الرغم من هذا، فإن الأغنية
مُحمَّلة بغنائية رقيقة وأنيقة

لكل قُبلة تُشرقُ في شفتيك، ولهذا

أخذ تشاؤمي في التراجع.

وها أنا أقولها، فاليوم،
أنت تملئين جسدي بعشقِ محاسنك،

فوق القرنفلة الحمراء لقسوتي،
ستدمى زهور سوسنك بالعفو عني!

وبعد الشرب من نبع إلهامك،
كما في بحيرة هادئة وساكنة من الحب،

وسأقبلُ وجنتيك بقصيدة
لكي أرحل مرة أخرى!

زهرة القرنفل

لدى بزوغ شكٍّ إيحائي،
جُرحَت أرستقراطيتك الجادة،
بزهرة قرنفل لم تزرعها يدك،
كرمز أحمر على جسارتي.

ربما كانت هناك عبارة مُوحية،

أو أن نباهتك رأت نيةً،
لأن هدوءك المليء بالخفة

تظاهر بتمرد مُحتقر...

وهكذا، استحقَ أحمري المُبشر بالعشق
لجرأة رمزه
مقصلةَ أصابعك النبيلة
مثل الحَوَاري أو مثل قاطع طريق،
بغرورك، بالإدانة السريعة
من كبريائك العنيد.

تجلَ

فائقة الجمال والأناقة،
بهيئة غجريةٍ غاوية،
وصلتِ إلى اللقاء مُبكرةً،
وملفوفة بالغموض.

استمعَ الصالون المخصوص

إلى أشواق ليلة دافئة من المعاصي،

وتفجرت براعم أفروديتا
مع حب هبة جسدك.

في تلك الليلة القصيرة المليئة بالجنون،
المواتية لربيع حنانك،

كان دمك الإجرامي البوهيمي

يحقن حمى الأفكار المثالية
ككريات دمٍ من الشوق العاشق،

في وهني بسبب الأنيميا.

يداك

يداك الداميتان الرقيقان تحاصرانني،

يداك! مدى لجراح غريبة،
عندما تبشران بنغمات، على أصابع البيانو
بالإدانات المرغوبة التي لا رادّ لها...

يداك، حبٌّ من الياسمين والورود،

توجد دماء الشوق في هيستيريتها،
مثل تلك الأيادي الناعمة التي تُحفظُ
خياناتٍ حزينة في عروق زرقاء.

مثل يدي حبيبتي المتوترتين،
اللتين تذبحان شياه أعيادي الوديعة
بنظريات مطولة من الإشارات الودودة،

المتيمة بجريمة العشق العذبة.

غرائبية

تلك اللكنة الأندلسية التي تنسابُ
من أغنية الفلامنكو الجميلة اللطيفة،
بالمذاق الشهي للقرفة،
التي أتيت بها من حي تريانا.

في فنائها المليء بالشمس، رأت أشبيلية

كيف تتزين وجوهٌ جادة عابسة لشبان مليحين غيورين
من أجلك بالجيتارات،
وشجارات بمُدى وحشية.

بجوارك، تلفني بالعطور
الغلالةُ التي تغطي محاسنك،
وأصابُ بعدوى الوله الجريء،
من دمك الفائر الغامض.

وآخذ في التفكير في جراح
بسبب زهور قرنفل وثمار فواكه بنفسجية،

عندما تنفتح زهرة شفتيك

في حديقة كل الرغبات.

وتملأ رأسي بالنور،

أغانٍ جميلة من بلادك ذات الحب والبهجة،

وأرغبُ بمغامرات غريبة،

مغامرات شديدة الغرابة،

عندما أشربُ نبيذًا من دم غجري
في الكأس المُهلكة لقبلاتك،
كأنني مسكور برحيق مالاجة.

في صمتٍ

هذه القصيدة، التي طلبتِها،
لتذهب إليك، كرسالةٍ

من ذكرى ما مسكوبة
في أرض نسيان...
لتهمس في أذنك
بأكثر آلام احتضارها حميميةً،
عندما، ربما، تقرئين،

أبيات الشاعر
حتى إن كانت مرةً واحدةً،
في لياليك المؤرقة بالذكريات.

أنا...؟ حيٌّ بعشق
ذلك الحلم البعيد،

الذي حفظته كنذر للقلب،
وأصبح قديمًا الآن.

وأعرفُ، بهوسي المرير،

أن رأسي المرهق،
سيسقط بسرعة، متحررًا

من سجن ذلك الحلم

عندما ينام الحلم الأخير
فوق الوسادة الأخيرة.

في الربيع

في عربةِ موكبِ نصرٍ مصوغةٍ من الأفجار،

وملفوفة في غلالات حريرية طافية،
حلَّت الساعة الثانية عشرة الجديدة
بقلة حياء الجرأة الأنثوية.

عجوزُ قصائدِ الألم الباردة،
المُنتحَبَة في سوناتات قصيرة قاتلة،

يفرُّ، بنقاء عصي على الإفساد، في غيومه،
من الفتيات الاثنتي عشرة الخاطئات.

حفلٌ جامحٌ من النور...! اليوم امتلأ
العشُّ الخصب بالموسيقى،
وغناء وحشي للقصائد،

-بشارات الأحلام الربيعية-
تعلن في نداءات أوركسترالية
عن انفجار البراعم المجيد!

دعوة

يا محبوبة، أنا مبتهج: لم أعد أشعر

بالانقباض المثير للضيق بسبب الحزن:
الطائر المهلك للاكتئاب،
ابتعد عن رأسي ناعقًا.

يا محبوبة، يا محبوبة: من جديد،

يعود الغناء للارتعاش داخلي، مثل مرات أخرى؛

والغناء إنسانٌ، لأنه يقدر على الكثير،
حتى إنه يستطيع ترويض غرورك.

تعالي لتسمعي. اتركي النافذة...

اتركي الشحاذ في حاله. إن رقتك،

لدى الشعور بالألم، مثل رقة أختٍ،
ومعي أنا فقط، عادة ما تكون هذه الرقة قاسية للغاية!

الأيادي الشفوقة الطيبة كالعادة،
ومعي شمسٌ كاملة، لتضيء
هذا الوجه الأوليمبي كالسوسنة
المصوغ من الشحوب والمحن!

أنا اليوم هكذا. أنا شاعرٌ مجنون

يرى أن سعادته رهينة ضجرك...

تعالي واجلسي أمام البيانو:
اشربِي القليل من الشامبانيا في الموسيقى الفرنسية!

لا أريد أن أراك حزينةً. امحي من وجهك
ذلك التعبير المُحمل بالحزن الضجر..

اليوم أريد أن أعيش.... يا له من أمر غريب،

قلبي اليوم ممتلئ بالنبيذ!

في الفناء

أحبُّ أن أراك هكذا، تحت عريشة الكرْمِ،

تحتمينِ من شمس منتصف النهار،
شُجاعةً، رقيقةً وغريبةً، بشكل حلمي،
مثل استلهام للأندلس.

برائحة عنفوان في جمالك،
الذي تلفينه في فساتين غرائبية محلية،

الرأس حمراء بزهور قرنفل ضخمة
وتقرئين روايات عن الشطار.

-حديقة أندلسية، حيث تزهر،
في أركان قديمة ومنعزلة،

أحواض الزهور التي تخفي وتظلل

قفص ورائحة طيور الكناري خاصتك!-

كلُّ شيءٍ كأنما في فناء بأشبيلية،
كم مرَّةً لا أصدقُ عندما أقتربُ،

أنك ستعطينني أكثر زهورك نضارة،

وأنك ستقدمين لي بعد ذلك عسلًا بالفانيليا!

أو آخذ في التفكير أنني تذوقت،

بينما أسمع صوت صنوج مبهجة،

أرزًا بلبن شهيًّا، مُغطى بمسحوقٍ
رائع الدفء من القرفة.

كم أحبُّ رؤيتك هكذا، مرحة،

ممتلئة بالحركة، والمداعبات المباغتة،

محاطة بأحواض الزهور، وشرهة،
تفرطين عناقيد مُثقلة.

وتبتَلُّ يداك المجرمتان،
لدى انفجار الأعناب المُنتزعة،

مثل دماء حيوات برئية،
ضَحت بها شراهتك!...

وعلى شفتيك الرقيقتين الساخرتين،
أرى كيف تتيه، بقسوة وغواية،

ابتسامتك كتمثال نصفه إنسان ونصفه حيوان،
ابتسامة مثيرة لتساؤلاتي الصامتة.

ورغبتُ لنفسي، في هذا العذاب
الممتع من أصابعك الوردية،

التي تضغط على الرؤوس المذهبة
للأغصان الحلوة المقصوفة!

سِرُّك

تنسينَ كلَّ شيءٍ! ليلةَ أمسِ، تركتِ هنا،
فوق البيانو الذي لم تعودي تعزفين عليه مُطلقًا،

القليلَ من روحِك كفتاة مريضة:
كتابٌ محظور، من ذكريات رقية.

ذكرياتٌ حميميةٌ. فتحتُه، سهوًا،
وعرفتُ، بينما أبتسمُ، أعمقَ آلامك،

السرُ العذبُ الذي لن أبوح به لأي شخصٍ:

لا يهم أي شخص معرفة أنك تذكرين اسمي.

تعالي، احملي الكتاب، شاردةً ممتلئةً
بالنور والحلم. رومانسية مجنونة...

تتركين عشاقك هنا، فوق البيانو!

تنسين كلَّ شيء، برأسك كعروس!

مُرشحٌ أحمر

لأنك وصلت إليَّ صامتةً،

المديحُ الحار في فصاحتي
أذاب عدم الاكتراث الجليدي

الذي كنتِ تُبدين بعجرفةٍ واحتقار.

أصبحت ذات الفتاة السابقة. غامضةً،
مثل قرنفلة حمراء
انفجرَ سرُك في جريمة لطيفة
بولهِ خطيئةٍ.

تراجع تعجرفك بخفة،
وعندما شربتِ النبيذ الفرنسي الفصيح

-آوه، الأعناب الذهبية الممتلئة-!

فجرٌ صبغ وجهك بالألق،

وفي القفص الأزرق لحمالة صدرك،
كان هناك ارتعاش حمامات مُحتضرة!

بعد النسيان

لأنك أتيتِ اليومَ، كما في الماضي،

بمحاسنك المُبهرة الرائعة،
شخصٌ ما ملأ غرفتي بالزهور،
كما في أوقات اللقاءات السابقة.

هل تتذكرين؟... أعودُ من ليالٍ بعيدة،
وما زلتُ أحتفظُ، بروايةٍ، ضمن روايات أخرى،
ومن تلك الرواية كنتِ تحلمين على أوقات متباعدة،
بتقليد لوثيا أو جراثيلا، لا أتذكرُ جيدًا.

وتلك المروحة اليدوية، التي يبدو

أنها تشعر بذلك الضغط المتوتر الفاتر من يديك؛
تلك المروحة اليدوية، هل تتذكرين؟ صورة أمينة
لذلك الصيف البعيد الهادئ...

وتلك المذكرات التي كتبتيها ذات يوم!

-كتاب رقيق مليء بالغيرة والشكوى-

ركنٌ مُشمسٌ! ركنٌ للتأمل

في أمور غائمة للغاية، في أمور قديمة للغاية!..

لكن الأشعار غير موجودة. ماذا تريدين!... لقد رحلتِ!

رؤيا الحنين، سواء كان طيبًا أو سيئًا!
ألا ترين؟ انهمار الجليد المستمر للضجر الوحشي،

لقد أحرق أجنحتي الغنائية.

...لِمَ الحنين؟ إنه مرشح مرير
مثل غيابات الحصارات القاسية...

أُفضلُ الزهور، أُفضلُ ضحكتك

التي تضع شعاع شمسٍ وسط ضجري.

ولأنك في النهاية تعودين، بعد النسيان،
في ساعة الكرب، في ساعةٍ مواتية،
مبتهجة كسابق عهدك، فاليوم رأسي

مسكين مجنون مسكور بالقمر!

ضحكتك

عندما أسمع الفيولين الأحمر في ضحكتك،
التي تستدعين فيها نغمات منسية،

نبيذ دافئ -رحيق البوهيمية-

يملأ عقلي بموسيقى مجنونة.

نبيذٌ يُبلل حلقَك النبيل...

-قفص رطب من الزجاج الرقيق،

الذي تحبس أسياجه الموسيقية غير المرئية،
عصافيرً جميلة غريبة-

وعندما، تصبين النبيذ، بإيقاع
يسرق المداعبات من المخمل،

يسقط النبيذ، ذو الرغوة المُرَّة في كأسي
مثل أمطار نجمية من سماوات غنائية.

ضحكتك!....تعجبني، تتملكُ أذني،
مثل لوحة مفاتيح صادحة غير محسوسة،

سكب الجنيون اللطفاء فوقها،
شامبانيا ذهبية فائرة لذيذة!

لا أعرف لماذا، تأخذ أصواتك المتزامنة في الذوبان أحيانًا،

لكن في هروب سريع،

تمرُّ على نشوتي، أقنعة مُهرجين حزانى ومرحين
يموتون بينما يبكون ويضحكون...

لا أعرف لماذا أظل مُفكرًا أحيانًا
في أوبرات قصيرة، حيث تقوم بطلات
جميلات وشقراوات بمحاكاة حلقات

من النور في رقصات الثعابين.

أو، أكون بشكل عصي على التحديد، فوق أرجوحات
لطيفة، موحية بأشياء فرنسية،
فأظنُّ أنني في حديقة مزهرة في فيرساي،

مراقبًا لجوقة من الماركيزات الجميلات.

ربما تبددُ صمتي العميق،
بسحرها الخفيف ذي الأسرار العذبة،
ترتعشُ في الصمتِ، مثل سوناتا

بكلارينت مبتهجة في مقبرة.

عندما وصلت المسيرات القاسية من الضجر،
في صمت، بينما تحرس الكرُه،

عندما وصلت إلى تلك الجراح: زهور من الظل،
هزَّت كأس العسل وسكبته...

عندما تصدرُ أجراس خفيفة
في قداساتي الجادة الكئيبة،

الجنيُّ، المهزوم أمام مُلهمتك المجنونة،
يخفف قرع الأجراس الخشنة.

فلوت وأكرينة غنائيان
يعلنان عن حفل الهارمونيات،
ويحلقان كالفراشات في كل أطياف

الكريشيندو التي تُطلق شررها مثل الأحجار.

لهذا، يبدو فمك كصالون مُصغَّر،
مزين برسومات جدارية من النوتات،
حيث امرأة حمراء، أسيرة اللغط، ترقصُ دائمًا رقصة الجافوت بأناقة.

لهذا، تعرضُ عليك بجعاتي السامية،
التي تحتقرها قنبراتك الرائعة،
الاحتضار العذب للأغنية الأخيرة

وتلوي العنق وتسمع وتحلم.

لهذا، إن شربتُ ضحكتك البوهيمية،

-كوب نغمي من الرحيق الرقيق-

سيمتلئ رأسي المسكين بالقمر

وستذعن كل الأورغنات الجادة.

أوقاتٌ طيبة

إنها تُمطرُ سلامًا. أيُّ موضوعات قديمة
تُستعادُ في ليالي الصيف..

جيتارٌ يئنُ، هناك، بعيدًا
وجارتي تجعلُ البيانو يضحك.

أستمعُ وأدخن وأشربُ،

بينما المفاتيح الرقيقة تعزف السيمفونية مرةً أخرى:

السيجارة والموسيقى والنبيذ،
ثالوث مألوف، سخي....

...أرغبُ في أن أعيش
حياة الدعة والبهجة المحيطة بي!
وربما لهذا، دون جدوى،
ترفرف بجعةٌ في رأسي...

يا للراحة، عندما يبدو الحلم
مشوشًا في وسط هذه الكمال الهادئ...!

من يُمكنه أن يُذيب القمرَ

ويشربه في كأسٍ، رشفةً فرشفةً!

يأتي كلُّ شيءٍ وديعًا من النسيان،
بوضوح أشياء جميلة،
كأن الرب، نادمًا،

أخذ في إهداء النجوم.

يا لبهجة السكون! وأي هدوء

في الجو، وآخذ في الاعتياد عليه،
دون أي ذكرى، سيئة أو طيبة،

تقترب بشكل غير مواتٍ لإزعاجي.

وأشعرُ أنني سعيد، فاليوم أيضًا لم

يحلم رأسي بأشياء مُستحيلة:

في قاع الكوب، شيئًا فشيئًا،

نام الحزن مسكورًا.

كسابق العهد

آه، يا سيدة؛ السيدة الجذابة في لياليَّ،

آه، يا سيدة، سيدتي، أرجوك
أن تتركي هذه الرواية الرومانسية،
الممتعة المُفضلة لدى أصابعك.

اتركي حكايات المغامرات،

حيث توجد مواعدات، حيث توجد مالكات

وتابعون، وأزقة وأقنعة كئيبة
وسيوف وعلاقات غرامية عابرة؛

فخاخ في الطريق، طعنات
من جنود أو فرسان شجعان،

وحبيب نبيل ومُكرس لملكته،
في قصر ما كبكنجهام فخم ومبهر.

أكررُ، لتتركي القصة الرومانسية،
القصة الرومانسية الكاذبة، وها أنا أعترف،

أنني أشعر بالغضب من الاهتمام الذي تولينه إياها،

على حساب شكواي وغيرتي.

نعم، أقولها صراحةً، غيرتي،
فهذا هو حالي كفارس،

يحلم بك يا سيدتي، ويتأمل
شرفاتك، من فوق سلم روميو.

آوه يا سيدة، يا سيدتي! إنها الثانية عشرة...

إلى متى تفكرين في مواصلة القراءة؟

توجد شجاعة في عدم اكتراثك العنيد

الذي لا يخشى مخاطر الصمت!...

إنها الثانية عشرة:

ويقترب الغدارون، المهذبون، مُجرمو القُبَل

لعبور زقاق شفتين
حيث أُغتيل الحلم بالأمس...

آي، حينئذ، من الأفواه المُهاجمة

بالأقنعة الحمراء للرغبة!

آي يا سيدتي، إن عثروا عليك...!

سينقذك فارسك الشجاع!

الأيادي

أدعوها جميعًا. المتأملة،
كأن لها روحًا، وأراها تمرُّ،
كنظريات تَحُلُّ
في المحطات الغنائية لشطرٍ.

الطيبة، الودودة، السخية

أمهات النسيان في الصراعات،
الطيبة، الودودة، التي لن نعود لرؤيتها مُطلقًا،
حتى في الذكرى.

الأيادي الملغزة، الأيادي
الملوحة بغموض غرائبي،

التي تخفي، كأنما في كتبٍ غير مرئية،
الصيغ الممنوعة للسر.

الأيادي التي تصلُ لأهدافٍ
الأيادي هازمة الصمت،

وفيها يحلم الجني، المهزوم، أحيانًا،
بإكليل غار متأخر من النور.

الأيادي الشاحبة، بدماء السوسن،
المُغتصبة على أيدي عفاريت القُبَل،
والتي رأيتها ذات مرة، متوترة،
تنساب فوق الأطياف الزرقاء لمختارات أدبية.

الأيادي المنقبضة للعرائس الميتات،
المتصلبات المتزوجات بالتوابيت،

برشان خفيف لطقوس غرامية

لن نتناولها بعد ذلك مُطلقًا؛

تلك الأيادي الساكنة والغريبة،

التي تتحجر فوق الصدر،
كعلامة استفهام مؤلمة

عن القلق الهائل في التعبير الأخير.

الأيادي القاسية التي تعرف

سحر الهجرِ العابر في لحظة.

الأيادي المُرهقة، العفيفة
مثل عذراوات، مُروضات حازمات للرغبة.

الأيادي المقدسة، الرائعة، المضمخة
بمُرِّ العفو والسلوى:
محبوبة، حزينة ودقيقة
للشعراء والمرضى.

الأيادي الرومانسية لمريضات السُّل،
بالصوت المحتضر لنغمات موسيقية متتالية،
مثل تعويذة احتضارية مُبهظة،

نادت على تشوبين بينما يغشى عليها...

الأيادي التي تسكب في الليل
المرشحاتِ الربيعية في الفراش،

التي تكتب النهايات الخصبة
فوق اللحم الذي اغتصبه الشتاء.

الأيادي دون حب، للمحبوبات،
الأكثر برودة وأكثر بياضًا من منديل
يتلاشى في الوداعات الطويلة
مثلة حمام الوداع الأخير السامي.

الأيادي الفريدة، الوفية، المجهولة،

عندما لمست عيني ميتٍ ما

لتغلقهما، وضعت عليهما المداعبة
الأخيرة المرتعشة من أصابعهما!

أيادي الجمال غير الحقيقي،

الأيادي مثل زهور زنبق من ذكريات،
من تلك التي ذهبت إلى القمر،

في ورع النشوة الأبدية.

الأيادي الزاهدة، المتقدة مثل النذور،

غير المتجسدة في الصلاة،

الأيادي التي تضفي إنسانيةً على صور
الشقر والتائبين الحزانى.

والأيادي التي تنتصر من النسيان،

تلك البيضاء، مثل الندم
على عدم تقبيلها، ولا حتى

بقبلة غير محسوسة في الحلم!

إلى البطلة، في الكرنفال

يا بطلة،

ماذا حلَّ بضحكاتك كأفعى الجرس؟

آه، منذ تلاشت

-يعرفُ هذا من سمعك-
ظلت قصيدةٌ غير مكتملةٍ.

تصدرُ من قاعات قديمة،
وكما كانت قديمًا، فإنها لطيفة،

تعود اليوم للهيمنة،
حيث تزفرين تنهدات على السلالم

التي وصلتِ بها إلى القمر.

لماذا هذه الضحكة
التي تصدح كآلة باسون جنائزية؟...

إن كانت هي التي أعرفها، مُعبَّرةً عن ألمك،
فلا تضعفي،

فقد كان موت المهرج هادئًا.

ماتَ لأنه أحبك...

والآن بعدما أصبحت أعرف شرك،

لكي أغمسك في النسيان،
سأبلل فستانك بماء قصيدة عاطفية

لكن يجب أن أتخيلك
مختفية بينهن جميعًا،

هذا إن كنت تريدين التنكر،
وهكذا أبدأ في غناء المقطع

الذي عرضته عليك بالأمس.

وبما أنك غنجة،
حساسة للمتحدث الفصيح،
ولأنك تأمرين بهذا قلقةً،

سأرتدي رداء الشاعر

لأغني لك بشكل أفضل.

مجهولة مُقنَّعة

تذهبين متوترةً إلى اللقاء
بنسيج شفاف رقيق مُزين،
كأنه مثقوب

يدفع للطيش...

الدمُ الذي انسال
من قلبٍ منفجرٍ

في يديك كامرأة
يحمل القناع الملون،
الذي يرافقك إلى اللذة.

ماركيزة دون شعارات نبالة،
حكيمة في المزحة المرحة،
التي تسمعينها في الصالونات
تسري في ألف غمغمة،
بمديح للمرأة المثيرة للفضول...

كم يتبدى كبرياؤك البالغ
كشعار النبالة،
عندما يتحدث ذلك الفارس
الذي يرتدي ملابس فارس مسكيتي

من عصر لويسٍ ما من الملوك...

غنجة، جميلة غنجة،
فصيحة بشكل ساحر:
وجهك مختبئ
بعناية دائمًا
تحت القناع.

فاليد الرقيقة، الجميلة،
مختفية تحت القفاز،

وتحت الحرير المُعبق بالرائحة،
توجد خمسِ زهور زنبق

تجوب حفلَا بالأقنعة!

وبما أنني أخمن رغبةً

في السخرية في صوتك،
وتمتلكين هِبة التكتم،
سأتنكر في هيئة أورفيَوس
لكي أُروض احتقارك.

ما هو هذا الحزن الحنيني
الذي جاء
ليعكر روح بهجتك؟...

وبه شجاعة

التعبير الذي يهزمك

حلم بطهاة،
وماسحة الأطباق الحزينة المجنونة

التي تتركُ المواقد
خلال توهمات قصيرة

لترتدي فستان إمبراطورة؛

وبمجد هبة
سموك كبطلة،
من أرستقراطية حميلة،
انهزمت فوضوية

عامل اليومية في الناصية.

خياطة، بائعة بسيطة في دكان،
أو أمَة لدى رب العمل؛
بملابس الربيع،

ستخضعين للفَظِ
غاوي النساء الذي يقف خلف طاولة البيع.

زهرةٌ تعُبق بالرائحة
الفنجان المجرم في المقهى الصغير،

قناع مجنون وقح

يحمي بحرارة، ونفاد صبر
وجه الراقص المليح.

مسكورٌ بالحب والنبيذ،
سيظهر جسدك الرقيق
جمالًا وقحًا حسيًّا،

في هذه الليلة في الكازينو
عندما يحفزك التانجو.

فتاةُ مواخير،
عندما كنت في مشاكل أمومية،
أمضيت الليلة بأكملها
في ضبط تلك الجونلة،

فخر ومجد لنسيج البركال،

والآن، ها هي الرغبات
تستيقظ في فتيات أخريات من الجيران،
ستذهبين مع أختيك،
ملهمتي الضواحي،
إلى حفل راقص في المجتمع الراقي...

قناعٌ.... قديمٌ،

في أي فرارات مبهرة
يرحلُ حنينُك المبارك!...

القناع القديم

ذو الوجه المليء بالتجاعيد!...

يا بطلة،
ماذا حلَّ بضحكاتك كأفعى الجرس؟

آه، منذ انطلقت،
-يعرف هذا من سمعك-
ظلت قصيدةٌ غير مكتملةٍ.

يأتي الفلوت الإلهي

من ضحتك الكريستالية!...

يا بطلة، يا بطلة:

ها هي رقصة ثعابين
تستكمل القصيدة العاطفية!

روح الضاحية

روح الضاحية

ها هو عازف الموسيقى الأجنبي يُصدرُ نشازًا

في الأغنية الكوبية المثيرة للغواية،

عندما يأتي الصياح بالنداء، أحيانًا، من الناصية
بالجريدة الشهيرة حديثة الصدور.

وسط ضجيج الماخور،

يمُر فتى تلو الآخر، خفيفًا،

متفاديًا الدفعات، بينما يحمل أخبارًا،
ويكرر أخبار المنادي.

وفي وسط دائرة الزبائن،
يبيعُ المنادي الأخنفُ أوراقه...

حيث تتساقط الدماء من الأخبار المخيفة،
في المقالات الحمراء المُعتادة.

نساء الحي، مجتمعات، يتحدثن،
ويتفلسفن حول القَدَر...
بينما الرجال العنيدون

يحاولون الدفاع عن العشيق الذي أصبح قاتلًا.

الحانة مترعة بالزبائن،
وبما أن لعب الورق سيبدأ،

تُصِرُّ الكوتشينة المتسخة في الأيدي
التي تترك الكؤوس لأنها يجب أن تلعب.

بطلُ جريمة القتل،
يردُّ على تلميحات كثيرة من المجموعة،
ويقول إن الانتخابات هي السبب،

ويحكي مغامراته في السجن.

في الشارع، الناس الأطياب يهرقون

أكثر كلماتهم وقاحة وبهجة،

فعلى إيقاع أغنية تانجو، أغنية «السمراء»،
يتألق اثنان من سكان الضواحي بضربات المدي.

مريضةُ السُّل المقيمة في المواجهة، التي خرجت على الضجيج،
تحمل كلَّ عذوبة الحنين
في ذلك الشعر المنسي لكن المحبوب
الذي غناه لها شاعر جوال مليح ذات يومٍ.

زوجة العامل، القذرة المُرهقة،
ترتق ثياب ابنها،
وتفكرُ بحزن شديد،

أن الزوج قد يأتي مسكورًا، كما في مرات أخرى.

...تدقُّ الساعة العاشرة. لا تُسمعُ صرخةٌ واحدةٌ؛
انطفأت الشموع في النوافذ العلوية،

وينام الحي بأكمله كطفلٍ مُبارك
دون كوابيس سوداء.

يرن وقع الأقدام المتأخرة للمشاة
في الشوراع المعتمة الخاوية

ويعزف الحراس سيمفونية التحذيرات

في مسيرتهم الإجبارية.

بوهيميون مع جِراء جرباء متمردة،

تنبح بضعة كلابٍ بأغانيها الليلية،

التي تسمعها القطط، بتوتر واحتقار،
من شرفاتها التي لا يمكن الوصول إليها،

حالمٌ، بوجهٍ خالٍ من التعبيرات،
يعبرُ الضواحي ببطء،

ها هو الأجنبي.. تشوبين الليلي المسكين

للخياطات العاطفيات!

ها هو الأجنبي! مثل حيوان صبور
مربوط إلى عربة قديمة للهارموني،

يجرجر أقدامه في صمت، بصعوبة،
روح الضاحية، الخشنة، الكئيبة.

العجوز

على الرصيف، الذي تحرقه الشمس،
الجسدُ محني -الصليب يجبره على هذا-
خصرٌ نحيل،
ظهرٌ مُهانٌ ويفيض الإرهاق،

تمرُّ العجوز، التي لا عزاء لها،

التي لم تكن، بالكاد، سوى بقايا
للتعاسة، للحم المسكين
المرهق من التضحية.

العجوز، التي تشعرُ أنها بقايا الجسد،

بقايا لا نفع منها،
مزمور مؤلم في إنجيل البؤس.

ضوءُ أحزانٍ، خاصة أو لآخرين،
فوق ألم وجهها الضامر
أحزان تترك علامات، ممتلئة بالألم،

تضاعف من حزن ضيقها؛

ضيقها ذاته الذي شاركته،
مثل فتات الخبز الجاف الذي لا يشبعها،
مع تلك الطفلة، ابنة الآخرين،

التي آوتها، في تعاستها.

تلك الصغيرة التي تسير إلى جوارها،
التي ستكون سندها غدًا،
زهرة الضاحية التعسة،

علامة على الأنيميا، ألقى بها الشارع.

حياةٌ دون كفاح، أصبحت سجينة،
فرخ حمام من عشٍّ لم يكن أبديًّا.
شعاعٌ ربيعي مُبتسم
فوق جليد ذلك الشتاء!

أشعة شقراء لنور متقدٍ

مثل شمس جديدة أمام الغروب،

وعدٌ حزينٌ، بامرأةٍ ستصبحُ لاحقًا
جميلةً ومرغوبةً، وربما ستصبح،
آينيس مهزومة، الراهبة اللطيفة،
لغواة الحانة،
عندما يتضمن سحر الإطراء

عبارة مُشينة ورقيقة.

طقس محظور للمشاعر
أحلام مأساوية، حمى تعسة
برشان به غوايات ورذائل
من الفتيات الساحرات المبتهجات...

كم من البطلات الفقيرات الحزينات
في هذه المآسي! كم أوفيليا!

الضواحي تمتلك غادات الكاميليات الصافيات
المريضات بالسل، الخاصة بها،

لهذا تعاني المتسولة الفقيرة،

كفكرة مرعبة وثابتة

لم تشهر حبها المشع
تجاه تلك الابنة التي لم تكن ابنتها.

لكن جمالها كمهجورة،
لم يعفها مُطلقًا من الألم القاسي...
حتى دون أن تكون محبوبةً

تشعرُ أنها أمٌّ لمن يئنون!

أمٌّ مُغطاة بملابس مهلهلة، أمٌّ عارية،
ملاءة حبٍّ في حي فقير؛

إنها اعتراضٌ مريرٌ صامت

تلك الورعة المُحبة لقديس الملابس المهلهلة،
التي لا تعرف سوى قُبلات
رجالٍ باردين أفظاظ في البواكي،

مثل راحةٍ لعظامها،

هذا فقط ما أعطته لها المستشفيات!

أشلاء بشرية تطفو دائمًا
فوق أشواقٍ غير محددةٍ،
طيبةٌ مريضةٌ لا تنضب
حتى وسط البؤس الذي لا علاج له
الذي يعذبها، دون هوادة
لعارها وحظها،
بيقين أنها عاشت
كغنيمة للموت.

لهذا، أحيانًا تشعر بمرارات،
تشعر بمرارات كمهزومة،
التي تُترجم إلى عبارات قاسية،
وتثير بكاءها إذعانًا؛
لأن البائسة لم تعرف مُطلقًا،

أي حبٍّ، سواء كان كبيرًا أو صغيرًا،
يُبهج حياتها، لم تُمنح
حقَّ الحلم بحلمٍ في الحياة.

تملَّكت منها المُنغصات،

التي تعذبها كما يُعذَّبُ بريءٌ:

في حقلِ كرم الحُبِّ
أخذ عنقود غائب في الانفراط!

كانت زهرة السوسن فوق المستنقع،
زهرة المصائب، هي من ذهبت لتحريرها

لم يأتِ أي شخص، لم تكن هناك أي يدٍ
تمتد لتنتزعها.

دون تغيير، مهزومةٌ دائمًا،

حتى لم تحصل في بداية مرضها
على مجد السقوط:

كان فراشها الأول كرضيعة هو الهاوية.

تحت ضجرٍ لم تكن راغبةً به،
أمضت ليلةً دون فجرٍ

دون أن تزعجها الحياَة
أو تشعر بنفاد صبرها كخاطئة.

وهكذا، احتفظت بآلامها،
كحلية مُعلقة على صدرها،
تنعكس في تجعيداتها، كأزهار

لمن لم تكن عروسًا مُطلقًا،

كعذراء عجوز. السنوات الميتة لم تترك لها
سوى احتضار لا يقتلها...

لم يحبسوها مُطلقًا،
بين زهور وأسوار فضية!

شيَّدت أحلامًا، وأكثرها خفةً

دفنتها كأنما بين حُطام،
وتساقط الجليد فوق رأسها.

ومزق مهلهلة كشرفٍ فوق كتفيها.

لأنها كانت طيبة،
انخرطت في جنونٍ تغطية كل ندوبها؛
وضعت قُبلات حنانها

على أخواتها، التعيسات.

ولهذا، أحيانًا، تجد تحديها
في عينيها المرهقتين، الخاليتين من البريق،

دموعًا تتساقط مثل عزاء
فوق القروح التي يخلفها الماخور.

لحمٌ تضربه كل الشرور،
محل سخرية دامية من الفتيان،
حقيرة مُهانة في البواكي،

بقعة نبيذ من السكارى،
ها هي العجوز، مثل صيغة
جارحة قاسية لسخرية،

ممتلئة بالظلال، في مجد
النهار المشرق الهادئ.

ربما رؤيا غريبة ما
أثارت عدم اكترِاثها،
فقد عبرت حزينةً ونافرةً

مثل صورة للخرف.

وهناك -بحاجبيها مقضبين وحزينين،

مهووسةً بِالقسوة-
تسير صامتةً، مثل حلمٍ
هزمه الواقع.

المليح

إلى ذكرى سان خوان موريريا
بحب كبير.
الحيُّ يحبه. رمزُ الشجاعة،
اكتسبَ، على مدى طويل، شهرةً كجسور؛

انتصرَ في مئة عركة مع المجرمين
وخرج من السجون بطلًا.
يعرف انتصاراته، ولا يقلقه

مجد الآخرين، والذي يُخيف آخرين كُثرًا،

لأن عالم العنف في كل حي باليرمو يحترمه،
ويذعن لشهرته، التي لم تكن موضع شكٍّ مُطلقًا.
الجراح العنيفة تركت وجهه
ممتلئًا بندوب عميقة، وربما كان مدعاة للفخر
أن يحمل تتويجات دموية لا يمكن محوها:

نزق الأنثى التي كانت تحمل الخنجر.
يُسمع على الناصية أو في الفناء،
في اجتماعات طويلة، بينما يحكي وقائع لا ينفيها أي شخصٍ:

أغانٍ رائعة بمصاحبة جيتار

إنه خوان موريرا، وإنه سانتوس فيجا[12]!

بتلك القبعة التي أمالها على عينيه،
بالشعر الذي صففه دون اهتمام،
يغني المغامرات، ذات الحكايات الدامية،
يبدو شاعرًا أكثر منه مجرمًا.

أكثر الفتيات جمالًا في حفلات الرقص بالحي،
لا يبدين مراوغات أو نافرات معه،
بل ربما فخورات بهذا الرفيق

المشهور بعلاقات غرامية ونجاحات.

لا تشغله غيرة الآخرين في أي شيء،

أو أن يحاول غريمه الإيقاع به بحيلةٍ؛
فهذا ليس منافسًا جديرًا بالاحترام...

فذات مرة أسقطه أحدهم عن طريق إفزاع حصانه.

أناس شريرة، تحتفظ بذكريات
قاسية وحشية في ندوبها

التي تتركها الطعنات. أما المذعنون والأوفياء

فيتبعونه ويتملقون قتلة لم تنبت لحاهم بعد.

على الرغم من تنغيص الوقت عليه،
فإنه قائدٌ مهيب في الانتخابات

وفي حالة وجود مرشحين طيبي السمعة

يُعرض نفسه للخطر في أحلك الأوقات...

لا يتأخر عن العراك -عشقٌ للمدية
يزين الأيادي التي ترك بها ندوبًا وبترًا-
مديته في أحد المواخير،
تُعتبر أكاديمية في الشجارات الخفيفة.

لأن روحه ذات الاندفاعات القتالية
تحتقر الخطر الخفيف الهادئ،

فالنسبة له، لا تساوي الحياة

مجرد نفسٍ واحد من سيجارة حزينة....
وها هو يمرُّ بكبرياء،

متزينًا بملاحته،
وقحًا وفجًّا مثل جندي مسكيتي
تسير خلفه شرذمة المجرمين الشجعان.

12 خوان موريرا وسانتوس فيجا، اثنان من الجاوتشوس في القرن التاسع عشر، وتحولا إلى شخصيتين شعبيتين فلكلوريتين

خلف الطاولة

بالأمس رأيتها، عندما مررت، في الحانة،

خلف الطاولة، مثل تمثالٍ...

كوب من اللحم الشاب الذي يجذب

السكارى بوجهها المليح.

زهرة سوسن مروية بالأفسنتين،
تبزغُ في جوٍّ من السُّكرِ،
تُزهرُ، مثل الكثيرات، في الرذائل
العطرة لهذا الهواء الفاسد.
أغنية العبودية! جمالٌ حزينٍ،
جمالٌ جدير بمستشفى، مُحنَّط

فهناك يدٌ تدفعها،
دائمًا تقريبًا، إلى حيث يوجد العار...

وتمرُّ دون ألمٍ، هكذا، غير واعيةٍ،

حياتُها المادية من لحمٍ مُستعبَد:

كأسٌ من الدعوات ومن النسيان

مسكوبة فوق الشارب الضجر!

الضرب

توقفَ عن عقابها، مُتعبًا في النهاية
من تكرار الإهانة الوحشية اليومية،

التي يجب الحكي عنها لاحقًا، ويتلقى التهنئة،
في دائرة المجرمين الوقحة.

-اليوم، كالأمس، سبب العلقة،

هو، ربما، ذات السبب الذي أجبره،
قبل قليل، على التأكيد على تفوقه بندبة

والتي تركت ذكرى حمراء على الوجه-
وابتعد باصقًا، فظًا، بينما يسبُّ

بأكثر الألفاظ حقارة في لغة الغجر البذيئة

كأنها نوبة غثيان مستمر مقززة
تتقيأ بها بالوعات قاع المدينة.
يزداد الصخب في المقهى الصغير،

فهناك نقاشٌ حول ما حدث،
وردَّ شخصٌ ما على الجميع، مُصرًّا بعنادٍ

أن هذا حقٌ للزوج فقط.
وبينما كانت المضروبة المسكينة تحاول
إخفاء عارها الحزين القاسي،
سمعت، من غرفتها، تعليقاتٍ
جماعية معتادة حول بطولة الفاعل.

وتداوي رضوضها بينما تبكي

-بصمات الألم، فوق جسدها، الهزيل...-

وفي هذا تبدو مُستسلمةً

كحيوان يحتضر تحت ضربات السوط!

بينما تسمع بمفردها، يائسةً،
كيف تصرخ الأخريات... الفظات والعنيدات،
تستمتعن بينما هي في عارها كمُعاقبة،
سخريات كثيرة في أفواههن... سخريات قذرة للغاية!...

في الحي

ها هم أهل البيت يقتربون

من ركن الفناء المزين بعريشة العنب،

مغني الحي يجلس ويضبط
الجيتار العذب بيدٍ متوترة.
ذات الجيتار، الذي ما زال يحمل في عنقه

العلامة التي لا تُمحي، العلامة الوحشية

لذلك المنبوذ الذي حلُمَ بقطع عنق
المنافس سعيد الحظ بين الأوتار.
وتأتي القصيدة العاطفية: رسالة مُقفاة،

في مقاطع طويلة، عن محبوبة متوحشة،

تسمعها دون تأثر الفتاة المُحتقرة،
التي لا تريد الخروج من غرفتها...

القصيدة العاطفية التي تحكي عن أشواق حزينة
من الكحول والدم، عقابات قاسية
إهانات قاتلة للقلوب
وميتات عنيفة لخطيبات خائنات...
عازف الجيتار يحمل على وجهه المهموم
ندوبًا قديمة بنفسجية لامعة،
وفي الصدر حنقٌ عدواني شرس
وفي العينين السوداوين بريق السكين.
ويُظهر فظاظته، فهو ممعنٌ في مدح
وقاحته الوحشية كروحٍ ممزقة،
سمع حيٌّ باليرمو شكواه،
بينما يتغنى بالغيرة التي تسبق الطعنة!
ولم يكن غضبه المستمر موجهًا إلى الشخص الآخر...

ذلك التعس الذي يعيش تحت الضربات،

يكترث به بذات القدر، لفظاظته ولضعفه،
كما يكترث بالسيجارة المنسية خلف الأذن!
فكبرياؤه الجريح الغاضب يشعر برغبةٍ كبيرةٍ
في القضاء على كل تلك الثرثرات...!

يشعرُ أنه قادرٌ على الإتيان بفعل ذكوري،
يتحدث عنه الحي خلال ثلاثة أو أربعة أيام...!
...وبخشونة تعبيرٍ مُقفى،
الأغنية التي تحكي عن ألم الفتى

تنتهي بأنين خشن مؤلم،

مثل تهديد ينتهي به الأمر نحيبًا!

من القرية

عائدون من الحقول. الضحكات المجلجلة
والأغاني العالية تبدو قريبة،

بها يتسلى الشباب الأقوياء أثناء عودتهم
بينما يتبعون القرويات، من بعيد.

وخلف أسوار النوافذ،

تُفكر الفتيات في إجابات،
للرَّد على التصريحات الخجولة

التي تصدرُ رائعة من الشفاه الريفية.

وبما أن القوافل توشك على الانتهاء،
يزداد الصخب المدوي...

وبينما تمدحُ عروسًا غاوية،
يمرُّ فتى ذو هيئة وحشية متغنيًا،
على نغمات الجيتار الغازي،

بالمآثر الأخيرة لأحد رجال العصابات.

بقايا مصنع

سعلَت اليوم كثيرًا. مرَّت ليلتان
لم يمكنها النوم خلالهما؛ ليلتان مُهلكتان،
في تلك الغرفة المعتمة حيث تمضي

أكثر أيامها مرارةً، دون شكوى.
أسقطتها الورشةُ مريضةً، وأيضًا، مهزومةً

في ريعان الشباب، ربما لن تجد

أملًا جميلًا يداعبُ
معاناتها الطويلة كمريضة لا شفاء لها.
مهجورةً دائمًا، أوقاتها
كمرضها: لا نهائية.

من حين لآخر فقط، يقترب منها أبوها
عندما يصل مسكورًا في المساء...

لكن، كي يقول لها، كالعادة،

السباب المتكرر، ذات الإهانة،

يلومها على المال الذي تكلفه إياه

ويصفها بالبائسة بالكسولة!

سعلَت مُجددًا. الأخ الصغير
الذي يزجي وقته في الغرفة أحيانًا،
باللعب، دون أن يكلمها،
أصبح جادًّا فجأةً، كأنه يفكر...
نهض بعد ذلك، وخرج فجأةً،
بينما يغمغم أثناء ابتعاده،

بشيء من الألم والكثير من التقزز،

القذرة، تبصق دمًا مرَّةً أخرى...

الأنين

كمراتٍ أخرى عندما يوقع
بها الهَمُّ مصائب أخرى غريبة

قالت التعسة، بعدما بلَّل القيءُ
الأحمر الدافئ الوسادةَ،
ذات الشكاوى المحمومة،

ذات الأنين الذي يقطعه
الهذيان، الأنين الذي تطلقه
من الحنجرة كالأحجار.

تحت الذكرى البعيدة الحية،
تمرُّ سريعةً على ذاكرتها
نوبات عمل قاسية تعسة،
مصائبُ مراراتها:
في الورشة المقبضة رأت
أولًا لحمها عندما كانت بصحتها،
حتى ساعة السقوط

الذي لن تنهض منه أبدًا.

ولأنها كانت فتاة جميلة ومبتهجة
صعدت كل السلم الناعم:
عرفت الكأس الأنيقة الرقيقة

التي تلقي زهورًا في البالوعة.

ولأنها اعتقدت أن هاويتها هي القمة،
كانت هناك بضع نوبات دوار خفيفة من الأمل

ربما غيبتها عن الواقع
لأنها فرَّت دون أن يقلقها هذا
وأنقذتها من الضجر

الذي يعذبها قليلًا،
مثل قصائد عاطفية،
قصائد رقيقة طويلة عن عاهرة فاخرة.

بعد ذلك، جاء السقوط، رهيبًا،

وعانت من عذابات صراعٍ تعس:

القطار الفاخر، بارات الموضة،

-الأمجاد الأخيرة كنجمة-
لم تعد هناك أحلام يقظة
رقيقة غير مُكتملة،

لم تعد الأشواق الخفية

الموجودة في الروايات الرومانسية

ولم تعد مغامراتها حزينة، محاصرة،
بالبطلات اللاتي تقلدهن،

فمنذ ذلك الوقت، عاشت الحياة
دون اكتراث، مثل أي فتاة أخرى...

وعشقت فتى من الضواحي،

كنزوة، لأنه كان يتزين
بندبة عميقة لا يمكن محوها
كعلامة فخر لا مثيل لها
كقلادة وجائزة على جسارته

على وجهه: ربع وجهه
نُبلٌ وحشي، شعار نبالة دموي
نقشته المدية بفنٍّ وحشي.

رآها الحيُّ بينما تمشي حالمةً،
ففي أوقاتها السرية

كمترددة على المواخير

كانت الولهة التي أحبت الندوب؛
وأشادت بجمالها اللغةُ الوقحة

التي كانت تقطف لمفاتنها أوراق زهور بذيئة
في مغازلات مُجرمة؛

اللغة القذرة، في أغانٍ عاطفية،
والتي أعادت العبارة البذيئة الوقحة

عن الغيرات القاتلة،

التي كانت، بجسارة، مثل عروض

حُبٍّ نبيلة، وتلوح
بزهور قرنفل نضرة في العُروة،
ولوم طويل في الأغاني
وغضب قاتم في النظرات.

فرسانها... هؤلاء الذين

لشجاعتهم، يحصلون على شعار النبالة

الأحمر من الشجارات، والسجون
شهادات بالأرستقراطية.

وبعد ذلك الآخر... الطلبات،
طغيان ذلك النذل
الذي كانت تنفق عليه، الأوقات
التي تفوق الوصف كامرأة مضروبة دائمًا؛

السوط كمداعبةٍ دائمًا،
السوط على الظهر دائمًا،
على هذين الكتفين اللذين تحملا

كلحمٍ مُستعبد دون تذمر،

كتفي حيوان مسكين مُعذب،
حيوان مسكين مُحطم!

وفي تلك الليلة، ليلة هائلة!
عندما شعرت بغثيان رهيب

قبل أول قيء، والذي انتزع ضربةَ
الوحشي الشرير، مجنونة بالغضب
هائجة، بكل تقززها

بصقت الدم المريض على وجهه...

ومرة أخرى، وأخرى؛ ذكرى وحشية

من البائس، تحمل العلامة
تحمل الندبة التي تركها القطع
الذي فتح به وجهها، لدى رحيله.

بعد ذلك مريضة... المعاناة،

أصوات التأسف الكاذبة

أو السباب الذي لم يكن خفيضًا مُطلقًا؛

الحياة القذرة، الحياة السيئة!

فقدت مفاتنها في الفراش،
وهكذا، تدَّمر الحُسنُ القديم،

فلم تعد هناك انتصارات، لأن الرغبات

لإشباع الحاجة، تصادفت مع كونها نحيفةً...

لهذا، على انفراد، اليوم، في الغرفة
حيث تموت، حيث ينتزع
السعالُ العنيفُ تآوهاتٍ عميقة،

السعال اللعين الذي ينزفها،

تحت الحمى التي تستهلكها
تشعر بحنقٍ مُتمردةٍ،

يا أفكارها!... آه،
إن استطاعت بصق روحها مع رئتيها!

لهذا تصرخ بأنينها غير المفيد

كامرأة لا عزاء لا، الأنين التعس،
غير ضار، لأنه في فمها
تصدر كحشرجات فمٍ ملجوم

العباراتُ القاسية التي تقذف بها
كحجر من حنجرتها

المليئة بالكرب، في الوقت نفسه
الذي تقذف به بأجزاء من أحشائها!

الجيتار

لأنه يُنغم الضحك مع البكاء
في المدونات الموسيقية لحنجرتها،
لأن بداخله مُلهمةً تغني كل شيء،
فهو بوليفوني المشاعر.

ومن الوتر النحيف تنطلق

طيور النغمات المتألقة الغنجة،

ويخور الغضب في الأوتار الغليظة،
ليملأ الجو بالأصوات الحادة.

قوس يحمل ألف سهمٍ. جُعبة مليئة بالحب،

تأتي سهامها بشلالات غنائية، كفرائس،

هكذا، كما في الهدنة من الحنق،
عادة ما يزأر الشعب بأغانيه الوطنية.

يمدح في أغانيه فرسانَ
الشجاعة أو الفن، ويتبقى شيءٌ
من إكليل الغار لكل المغنين

في بروفانس الخصبة بالحي الفقير.

لهذا يمدح دائمًا
أكثر الأحلام رقةً كما يثني أيضًا

على العواطف الجسورة التي لا تُقاوم

الصادرة من التينور الشجاع ذي البونشو والخنجر.

نورُ قصيدة رقيقة قديمة، مثل هالةٍ
تنطبقُ على أوتاره، ربما تصله من أعماق كوخٍ؛

فعلى الرغم من أنه إسباني،
فقد عرف حب الجاوتشوس مع سانتوس فيجا.

تحت طرف السقف المتهدم، بينما يعدد قسوة

الردود السيئة على رغباته،
بالسحر المرتعش لرقته
يأسر أورفيوس الفتيات المخلسات.

كان يستوحي من الرقص
مدحَ العشاق والعلاقات،

أو اللقاءات العابرة في
حركات الرقصات الحزينة

أو، مع النغمات البطيئة المغرية،
تتدافع الأغاني الكوبية في صدره
وعندما تحرر قُبلًا مجنونة آسرة،

فتسقط الراقصة بحسية على ردفيها.

أورغون وكلارينيت، أصواتهما الرقيقة

تصدح، عندما تزهر مرارة الشوك
في أحمر زهورها

وتدمي ملحمة أكاليل الغار.

بغمغماته الولهة الودودة،
الليالي المبتهجة بالأغاني،
يرسل العشاق اليائسون
وجع أنينهم لمن يُعرضن عنهم...

الأغاني العاطفية في الصدر الجريح،
أو الانتقامات الحمراء لعطيل

تمرُّ عبر حكاياته، كتآوهٍ

ينبئُ بصراعات طويلة مُهلكة.

عندما تضغط عليه أياد وحشية خشنة،
يشعرُ بمخاوف زهرة خجلة،

كأنه تحت انقباضات روحية،
تلوح بنوازع عروس هاربة.

-رسائل مُنغمة عن الواقع-
تتأرجح الذكريات مع إيقاعاته،
ومن لا نهائية المسافات

تذهب عبارة «لا تنسيني» إلى الغيابات.

هبةٌ سخية من لحظةٍ

تملأ الصندوق بإيقاعات مُبتهجة،

على الأوتار النحيفةِ وضعت عاشقةٌ

القُبلةَ التي ما زالت تحرق الأصابع، بعدما انمحت.

تمرُّ طيور هاربة،
تصوير أمين حيٍّ لعصور أسطورية،
ما زالت عبقرية الكونترابنط،

تمرُّ تائهة من أجلها في شلالات

ينتقل بين نغمات مؤثرة حزينة،
بالإعجاب العميق بإلهامه النبيل،
يقول أوديسات الشعراء الجوالين

الذين ماتوا بينما يغنون مثل المُعلِّم.

بين يدي المعجباني، تثير ملاحته الغيرة
في أرواح الجميلات -دمٌ حام-
وفي حديقته المليئة بالحب والنبيذ والقرفة،

تنفجر قرنفلات الأندلس!

صنوج، رقصات أندلسية، شالات أنيقة،
غطاءات رأس، زخارف مبهرة، زهور مُطرَّزة...

يتعطرُ حرير أغانيه في الفناء

بروائح غرناطة!
الإنجازات الرشيقة لمصارعي الثيران،
مُتوجة بالتصفيق الذي تستحقه،

أو فوق حكاية حزينة، تظهرُ
رؤى ذكريات لرجال العصابات.

يعيش في الإسكوريال النبيل،

أو في برج تريانا الفلامنجي في أشبيلية،

وها قد أصبحت الفتاة الفقيرة القادمة من الأكواخ،
ماركيزة في صالونات ذهبية!

لهذا، تظهر بمفاخر الأرستقراطية
في كبرياء جنود رائعين منتصرين،

كما يمتلئ أيضًا بتواضع لطيف
في دلال الحرملة من البركال.

على إيقاعاته الدافئة، ذات النغمات الناعمة،
في أرجوحته المصنوعة من الأعصاب والخيالات،

السيدات الغنائيات الست للهارموني
يؤرجحن هجرانهن بغواية.

إنه بوليفوني المشاعر؛

إنه من الآلام والمتع:

ينغم الضحك مع البكاء،

ويتغنى بالبهجة والبؤس!

كلاب الحي

تصلُ مُرهقةً في قوافل جائعة
لتتشمم بحثًا عن بقايا صالحة بين الفضلات،
عطف خادمات مسيحييات رحيمات

يعطفن عليهم باستمرار.

التواضع الذي يهبط من دموعها الغزيرة

يتحول إلى نوبات من النباح الوحشي؛
لم تكن عودتهم من بوابات قذرة هباءً
بعدما أكملوا مهمتهم غير المحمودة ككلاب حراسة.
أرواح حكيمة في ورعها،

تنبح بتجديفها كملائكة سيئة،

لكن في صلوات الندم

كانت ضربات العصي تدفعهم ليكونوا قديسين.
ربما كانوا هم ذاتهم، في ليال تعسة،
الفنانون الرائعون المعجزون،

ذوو اللغات الإنجيلية، الذين يداوون

جراح أكثر من مسيح مجهول دون أتباع...

في الأوقات العفيفة ذات الأحلام اللطيفة،
عادةً ما يكونون، أكثر من أي شخص، قليليِ الكلام

لكنهم يصبحون حالمين

عندما يشربون ماء القمر في البرك.

يحظون بالاستماع للاعترافات لأول مرة
في مونولوجات المجرمين،

ومثل مُلاكهم، يبحثون عن الشجارات
ويعشقون السجون والمستشفيات.
وفي الليل، يواسون الكرب اللانهائي

لمن لا شفاء لهم في المواخير
ويبكون بعذوبة على زهرة الأقحوان

التي تموت في أصابع الأرغن.

إشارات محددة، لا ينسونها مُطلقًا،

هي من توقظهم، ليصبحوا مُطيعين تمامًا

للعاملات اللائي يُعلن في الفجر

عن الاستيقاظ في حظائر الدجاج.

يحزنون عندما تسبُّ المرأةُ
-... ذلك الوغد الذي لم يأتِ بعد...
وفي صحبتها يكتشفون البار
البعيد السري حيث يجلس الزوج

نهاية الإهانة التي لن تُغتفر مُطلقًا،
حنقُ الأبطال ذوي الأرواح العدوانية،
الذين يحبون جمال الطعنات

التي تتلقاها الفتيات المجنونات الهاربات.
جراء شجعان، يتغاضون عن
عقاب جرائم الضواحي الشهيرة،
هذا إن تم النقاش بشأن سبب الجريمة
التي أثارت اهتمام الحي طوال أسابيع كاملة...

يضعون لعابهم المسعور في قصص

الدجالات الحكاءات المثرثرات،

ويحضرون اعترافات الخطاة
في أيام الندم.
متشحين بحداد الوحلِ، يذهبون إلى السهر على الأموات،
حيث يخدشون الأبواب بينما يرسمون الصلبان

ويزومون بقداسات بينما يكونون في حالة تعاطف كبيرة،
وينشدون الصلوات من أجل العرائس الميتات.
يعثرون على مخابئ أشياء مخفية،
وبحذرٍ، ينشرون بين الجيران

وصفات خيميائية سرية، مسروقة

من الصمت المقبض لأحد العرافين.

وخلسةً، بجدية كبيرة،

في المعبد الفسيح المعتم على الرصيف،
يحتفلون بطقوسهم الغامضة،
بينما يعوون بتعويذات طرد الأرواح الشريرة ضد ملجأ الكلاب.
يحرسون الحفل، من هيئات غريبة،
ممن ليسوا موضع شكٍ للقيام بخيانات خسيسة:
توجد جوقات تشمم متمكنة

من كلاب قائدة مهيبة وكلاب قاتلة.

أحدهم، على الأخص، شجاعٌ بشكلٍ مُرعب،
لم يعد للكهف مهزومًا مُطلقًا،
ربما وضع خوان موريرا الشجاع
خنجره بين أسنانه دون خوف أو تردد!

ويوجدُ آخر، هادئ، واسع الثقافة،
لطيف المعشر، بارع وماهر
في استراتيجيات الفرار،

ويُطلق عليه في الروايات لقب «المُعلِّم»،

ويوجد آخر، عندما ينتهي الحفل،
يتحدث إلى الأتباع المخلصين بلغة غريبة
ويبدو كأحد تلاميذ المسيح في سلالة الكلاب

والذي يقول للناس كلمته المتوحشة.
وآخر، فائزٌ بالمسابقات السنوية،
ويُعرف عنه أنه لا يحني عنقه أمام أي شخصٍ

إنه موهبة واعدة، يواظب على الدروس

في أكاديمية كلبٍ مثل فيسكاتشا[13].
وآخر، فخورٌ بنفسهِ ويقول إنه نيتشوي،
دائمًا ما يتحدث في أمورٍ فلسفية،

بعبارات جميلة، بأفكار تفوق قدرة البشر،
يعرض على القطيع نظريات رائعة...
وآخر، بهيئة مُراهق مليح من عائلة أرستقراطية

يتظاهر بالنفور بينما يتحدث عن الفوضوية،
يحرص على الاحتفاظ بتعبيراته النبيلة،
ويتبدى فيه بوضوح أخلاق الأرستقراطية.

وآخر، يذهب أيام الأحد إلى الندوات،
حيث يدعي أنه أديب،

يؤكد أن كل أنواع العنف
هي شرٌّ لا بد منه في هذه الأيام.
وآخر، وطنيٌّ وشجاع وموهوب،

-من مواليد إنتره ريوس- يمدحُ الأرض

التي وُلد بها، ويضيف أنه في أوقات المجد

كان أخًا في كالاندريا، وكان أخًا لجدي.
وآخر، نحيف تمامًا كزاهدٍ،

أحيانًا يُلقي بتهديدات،
هو النبي ذو الصوت الراعد والكلمة المسموعة

الذي يتنبأ بمصير أفضل للعرق.
وبعضهم، ربما كانوا حراس أغنام
في أوقات مراهقتهم،
يحكون حكايات عن جاوتشوس فارين من العدالة،
والذين حاربوا الشرطة معهم.
وآخرون، فرسان يقرؤون دون كيخوته،

قُذفوا بالأحجار أكثر من مرة،
يجسدون تقريبًا دائمًا ضربة السوطِ
التي كانت هي الوسيلة في كل العصور...
وآخرون، تذكارات حية مألوفة
ترعاها الدولة، جرباء وعجائز،

لكن بمكانة أفواههم الخالية من الأسنان،
يرشدون العديدين الذين يطلبون النصيحة.
... وها هم هنا. يعودون فجأة، كلهم معًا
ليحكي كلٌ منهم للآخر، بالترتيب، أحزانه؛

سؤال وجواب، كما في منازلة شعرية

مكونة من مزامير جنائزية، عبارة عن أصوات حزينة.
كأن أرواح الشعراء الجوالين
قد مرَّت فوق القبيلة،

وأمام قضاة جادين متجهمين،

يوجد سانتوس فيجا وخوان العاري!

... ماذا يكون هذا الهلع الهائل
الذي يصل خلسةً من الظل؟

كأنهم يصلون صلوات كئيبة،

ذات أصوات عدائية تملأ الناصية!

يذهبون راكضين... لماذا فروا؟

أصبح الشارع خاويًا! كم هو عميقٌ
ألمُ العواء الغاضب!

هل تسمع يا أخي؟ السربُ يبتعد...

13 «العجوز فيسكاتشا»، أحد شخصيات ملحمة «الجاوتشو مارتين فييرو»، من تأليف خوسيه إرناندث.

طقوس في الظل

الذئاب

ذات ليلة شتاء، قاسية للغاية،
رحل البؤس عن البوابة لفرط البرد،

وبكت الأمهات المريضات على أبنائهن
في سرائر المستشفيات،
ببرد الشر في الروح

وحرارة الأبسنت في العروق،
بعد صمتٍ مُقبض من الكرب،

غنَّى مسكين مسكور في الحانة:
- يا رفيقي، لا تخرج، أحدسُ
بشيء غريب وعدواني على الرصيف
... لقد غزته الذئاب بينما تعوي....

أطلَّ برأسك، يا أخي، الشارع ممتلئ!
هم أنفسهم من يتبعونك
في الظل اللانهائي لطريقك،

الذين يظهرون في جحافل

وفي ساعات مرعبة، يخدشون الأبواب...
... ما هو الذي لا تفهمه؟ ألا يرتعش أبناؤك
أمام العواء الوحشي للوحوش؟

ألمْ تر المأساة مُطلقًا؟ هل كانت

الأحشاء غير جائعة، الأحشاء مترعة دائمًا؟

... ما زالوا يعوون. هل سمعت؟

تكرار وحشي يرن كصرخة كئيبة طافية

فوق المهد الذي تؤرجحه الأنيميا.

وها هم جميعًا! لم يتغيب أي منهم؛

والليلة لا تمر: إنها أبدية.

الألم شتاءٌ؛ يغطيك.

لا تنتظر أو تحلم بالربيع مُطلقَا.

النسيان بعيد؛ لا يأتي
ليترك وعده بجوارك،

وعده بالموت.
الأمُّ، أحيانًا قاسية للغاية وأحيانًا طيبة للغاية!
لن يعرف أي شخص أبدًا عن اليد
التي وضعت الضمادة على عينيك،
والتي سقطتَ بها عميقًا

فتغشى عيون من يريدون النظر لك.

تهتز في هاويتك المجهولة

دون رغبةٍ بالعودة،

بالشعور القلق للتهاوي الهائل

الذي يجرجر معه شكوكك الكبيرة.

على الرغم من هذا، قد تسوطك،
في سكون عدم اكتراثك،

-رؤى مُعذبة في الحلم-
رعب مُحتمل لعواصف مجنونة.

في الأعماق المثيرة للخوف لروحك،

هناك فزعٌ طليقٌ كالوحش،

كم سيكون مثيرًا للفضول الإطلالُ

لرؤية إن كان يتمتع بعنفه أيضًا!

... ألا تراهم؟ كيف تفزعُ عيونهم،
عيونهم الساكنة الساهرة

في ليالٍ مشؤومة، مواتية

الحصار المُرعب المنغرس هناك، في الخارج،
عندما يُطلق الخوفُ عقال جحافله

وتنفجر قروح الجريمة،
نعم، بمداعبة خشنة لا تُمحى،

تلمسها يدٌ وحشية، لا ترتعش.

وأنت على ذات الحال! يمكنني أن أقول

إن في أفضل أحلامك ترى
كوابيس من حزن على هيئة رصاص،
نفورًا قاتلًا من الحمى القديمة...
في مسيرتك القلقة، دون رغبة

في الحدس، ولا حتى خلال لحظة،
بالتهديد القاتل لغضب

دائم متسلل ذي فكين مترصدين...
.... لا تضحك... ها هم يعودون مجددًا
للإحاطة بحب الضباب؛

الأفواه الضخمة الجائعة

يبدو أنها تنادي، تتوسل وتنتظر.
تغطي الشارع بأكمله، شجعان،

يتركون بصماتهم على الجليد،
مثل ندوب عذابات فظيعة،

ويلهثون، متعبون نهمون.

من أتى بهم؟ لا أعرف. من يستدعيهم؟

لماذا فروا وتركوا غاباتهم...؟

إنها حشود مدفوعة بالخوف

وتأتي من بعيد كنكبة...

لكن، عم يبحثون؟ الظهور كثيفة الشعر
ترتعش بسعارها الدامي،

في حنق متدافع لا يتوقف

ربما تنتزع مخالبها إحدى الحيوات.

زوجةٌ؟... أبناء؟ لا أريد التذكر.

هل هم هنا؟... لا تنم...

هل عووا مرةً أخرى؟ أم أنها الرياح؟

اجتمع الاثنان وينتظران الفريسة.

أشعر بعودتهم، هم ذاتهم،
أنا أعرفهم، المسوخ التي تصل،

أصبح سهادي الطويل كنوبات حراسة

وبجوار فراشي المُهلك، كانوا كالحراس!

... مخالبهم تجرح أحشائي...
أُنظر، يا أخي، كم أصبحت الليلة سوداء!
يعتقد المرء أن الحياة تمر
ملفوفة في خرقة مخيفة من الضباب.
كيف يتساقط الجليد، في الشارع
دون شعاع نور واحد. يا له من حزن!

إن أمكنني التفكير، لفكرتُ

أن روحي تسعُ سهبًا...
آه، دمي دون شمسٍ، أشواقي،
جراحي المعتمةً الشائهة

على حافة الكوب الحادة

تنفتح لكل مرشحات الكُره!

...تعال، اقترب أكثر، لا تتردد

وسترى في الليلة المشؤومة
كأنما فوق مسيرة جنائزية

فريدة، أن الحلم موجود بوجه متألم...

من انطلق في الضحك؟ يا رفيق!
لقد اختلطت الذئاب بالضباع...

الصمت يكشف عن امتزاج رؤوسهم وأجسادهم،

ويعوون، تتقدم الوحوش في العتمة...

كان تأوهًا خشنًا في الظل،
كان المسكور بمفرده في الحانة

ولهذا، ظل في الزجاجة
نصف تلك الأغنية المجنونة، الغريبة.

صور الخطيئة

أوجٌ هشٌّ
لمشاعر عاطفية،
حداثيةُ ما هو غريب،

لسُكرٍ مُتخيل،

تخبأ خشونة عقائدهم المادية،
كصياغات مُحكمة

لشعارات نبالة ناصعة،
غير لافتة للنظر،
فتخفي خصائصها الوحشية،

العري الوثني لقوى التخمر.

زهرة- وصمة على الشفتين

تركها الصاغة

بعد الاحتراق. وحوش شريرة
من الفُحش والحمى،

التي لا يروضها الفلاسفة الأرفيوسيون الحاليون،
تترصد ليلاً

الأعمالَ السرية...

في الليالي المرصعة بالنجوم
ذات القُبل المُعجزة

التي تفتت غزل الرغبات في الأفواه...

منتصف ليلة واعدة،
بشكل غامض موحية بالأحلام،

أخرجت من القبرِ كتابًا لطيفًا للقراءة الموحية،

يخبئ ما بين سطوره انحرافاتٍ غير واقعية...

آه، رأسٌ مشوش
مثير للفضول ومحموم،

وفي الهجران الرطب
الذي تفضحه الوسادة

يتخصب من التلوثات المُخية الحكيمة!

آه، كم هو قاتمٌ ضجر المراهقات الرقيقات،
آه، كم هو طويلٌ انتظار الخُطاب الشاحبين،
الأوقات المملة ذات الرؤى الملونة...

عندما يعتقدون أن النحل
الذي تم استدعاؤه سيأتي مخلصًا،

ليحمل لهم، بشفقة،

مع عسله ونبيذه،

الخنفساء الزمردية، الليلية ذات الهوس القوي...

الصوت المُهلك في أناجيل
ساحرة لأفروديتا،

يدعو للجماعة المُغلقة

على مائدته الحمراء.

آه، طقوس تناول سرية في العبادة،
تكشف عن الخطر الذي لا يمكن تصوره

في البرشان المقدس،
حيث تختبئ رؤوس فاسدة مغشي عليها

للجنيين الحذرين الساهرين في قداس غريب...

مريضةٌ نفسية محبوسة
حيث قامت زهور زنبق نقائها

باغتصاب الطبيعة الانتصارية دون مجهود،
تلك التي تعيش في مخاض دائمًا، وتتألم بقدسية.

-كانت الساعة التي سقطت فيها
أوراق زهور القرنفل،

وعندما تدمي العفة
في سرائر الزوجية القاسية،

ارتوت البشارات بمرشحات الحياة-

عذراء زاهدة في صومعة،
جمرة شقراء في مبخرة،
طقس مخلص ظلامي،
صورة باردة من دير،

للإيمان بجنونها الطقوسي ضد الرذيلة،
الذي شعرت في سهادها

كيف يثير في سلامها المتقشف،
رغبات شيطانية

في دمها كعزباء،

في راحة يدها التي تنهزم أمام التضحية المهدرة.

حساسة مُرهفة

أمام الرغبات الاندفاعية الدافئة،

التي تسخر من غياب
بريق حمرة الخجل...

تمدح نزواتها - الشيطانية، الرقيقة!
عندما يغني أغانيه،

دائمًا ما يكون مُجددًا في مداعباته،

يعرف كيف يدهن
مفاتنها برحمة مجيدة

على العمود الفقري الذي يعاني أهوال الشتاء.

المُفضلة لدى نيرفانا،

صاحبة أرقى أصناف النبيذ
المُتشنجة بسبب الإيتير الذي ينير

شهادات الأرستقراطية الجديدة للحشيش والمورفين،

صلوات لا يمكن الاعتراف بها

ذات رهافة إجرامية،
سخية، مدهشة
أنقى أجزاء جوهر الحلم بخطيئة الكأس السري...

سن بلوغ في ماخور
وفي تكوينه يمدح
النظرية المثيرة للأسف

عن الملابس المهلهلة والندوب،

فارضًا الصمت على النفور غير الواعي مما هو ملعون...

بهاءٌ مثير

لفتاة سريعة التأثر،
تدعي بسذاجة
أنها مانون[14] من الضواحي الفقيرة،

يعذبها حرير الجريمة برقةٍ.

.....

عاهرة فاخرة في ضاحية فقيرة،

تعرفُ أنها ذابلة وعجوز

وتريد أن تنسى المرارات
العميقة في أنينها،

النابض في هزيمتها، بسبب المغامرة الأخيرة،
وعندما تعبر الأحياء الفقيرة،

في مساء المواعدة،

تأخذ في التفكير أنها مارجاريتا
الحزينة، التي لا شفاء لها.

التي تترك جنونها الرومانسي مع الموت.

رؤيا مُعَذَبةٌ قصيرة
لحُبِّ بطلة
بيت الدعارة والسجن: زهرة حمراء في المقصلة،

حَلُمت بخطيب يعاملها كزهرة سوسن،

بناصري أشقر
يدفعها نحو الطريق المقدس
المثير للندم، الذي لا يمكن تفاديه،
-بحدس لا شك به-

لتتبع ميلها الديني كمجدلية.

جميلة مأساوية، حكايتها معروفة،

سالومي الهيستريا،
حاملة للغرائب،
من بلد الغرائبية،

تعلَّمت سر النهايات الانتحارية،
والتي، في انخراطها الطويل

في الحفلات الغامضة،

في الاعترافات الحمقاء
وأوقات الراحة الكئيبة،

تناولها على يد مُعلِّمي الموسيقات الممنوعة.

آه، أعياد القيامة للحم
المطيب، الذي يزهر

بدلًا من أولئك الذين ينتهون...

بدلًا من أولئك الذين يهرمون.

آه، الملائكة السبع الشريرة! آه الملائكة المحبة

لنذور الأيادي،
المعروف أنها فارغة،
الملائكة التي تذبح حمامات
المسيرات البيضاء،

في أمسيات دموية للأضحية السوداء!

14 مانون ليكسو، عنوان رواية للكاتب الفرنسي أنطوان فرانسوا پريو (١٦٩٧ – ١٧٦٣)، وقُدمت في أعمال أوبرالية لاحقًا.

في الليل

انتصر الظلُّ. يصلُ غموضٌ،
بينما يُقفي كرب بؤسه،
ويبلل على الأرض ثمار سيريس[15]،
ساحرة البذرة التي تناضل بالخلق.

الرغبةُ ناعمة للغاية، وتمرُّ بينما تحكي
الليالي الدافئة لمتع غريبة
ويتحدث عن أحلام نساء نضرات

أخذن في قتل بعضهن بعضًا في نوبات عصبية حمقاء...
كأسها الذي يحوي دمًا، كان يسكبُ في الغيوم
غروبًا حزينًا للغاية، بينما يحيط السماء

بالجراح، لتتقيح برغوة حمراء.

وهناك، في رؤيا كئيبة لبيت حقير،
بصوتٍ آمل، يغطي الحيوات
كان هناك حواريٌّ يغني بشارته الهمجية...

15 في الديانة الرومانية القديمة، كانت سيريز إلهة الزراعة ومحاصيل الحبوب، والخصوبة والعلاقات الأمومية.

حزنٌ عميق

بتذمرٍ لين حالم،
يغوص الكلب في كسله،

وينفتح فكّاه في تثاؤب ضجر

مُعبرًا عن مللٍ طويل.

وسط غيوم كآبتي المُقبضة،

مثل فأر ضخم، كان الحزن
يقرض رأسيً دون توقف،

ليحفر كهفًا للإحباط.

مليءٌ بالضجر، أطلُّ على المنظرة:
سماء رمادية بها ثِقل الرصاص

تسكب هشاشتها على الأشياء...
ولأنني هكذا، على حال يرثى لها،
أحسدُ وأرغب بالسعادات الصاخبة،

الرغبات في الحياة... آه، يا للضجر!

رؤى الشفق

ها هو المساء يُطلق الشجار الأخير،

في السهام الذهبية التي يُطلقها عفوًا،

ويذهب -كأمير،
فارس على الحصان الأحمر للغروب-

يتعمقُ غموض النأي،

غُموضٌ مُظللٌ بصبغة جنائزية،
ويمتلئ الحيُّ بالصلوات

التي تأتي من السهر، القريب الأسود، على الميت.
يبدأ الجليد في السقوط... بعذوبة،
تتردد غمغمة أغنيات

في فناء الماخور المُقابل،
الذي يخفي الألم في الإيقاعات المبهجة...

الفتيات، يبحث بأشواقهن الشبابية...

-أصبحت الصحةُ أغنيةً بين شفاههن،
مثل قيثارة ذات أوتار ذكورية

تحتفظ برغبة صورٍ مجنونة؛

شعاع شمسٍ فوق الصقيع: الذابلة،
ذات الكفن الذَّي لا يُنسى فوق صدرها،

كأس مترعة بنبيذ الكرب

الذي يغلغل في الدم سُمَّه الحكيم-
يبدو الجليد كالأرابيسك في سقوطه

كأمطار أحزان بيضاء،
عجوز تنسجُ كفنها،
أو عروس تلقي زهورًا فواحة.
فوق رأس متوتر، حزينة،

أراها تسقط كقبلة

تمتصُّ حنقَ جرحٍ،

وتبقى مطبوعة على الحواف.
يُصاب الحي بالأسى... كل الشرور
الوحشية تظهر وتعوي بنفاد صبر

في الليالي الفانية، كبشارات،
تُزهر جروح آلام صماء...
يا أخي، أطل من النافذة. أُنظر،

خلف الضباب، سراب غريب للحُمى.

أطلق الحزنُ بوماته الوحيدة
من نافورة تهذي...

تُحلقُ ايحاءاتٌ في التفكير،
مُشيرةً إلى كل صراعات الجريمة التي تم حلها،

والجو موات للتفكير
لأن وحوش الشر مُطلقة السراح.
.... يغزوني الخوف. عقلي المحموم
كاتب سير ذاتية للأشياء

المأساوية والغريبة لما هو مجهول؛
حيث ستسقط هذه الأشياء، في صمت.
في بيت المسلول، الذي حمله البرد
إلى الفراش، نعق غرابٌ؛
إلهام القصص الكئيبة
التي تعمل مع الجوع لإزواء العجوز...

اليتيمة، التي توقفت عن الأنين في الغرفة العلوية،
وعلى الرغم من أن أحدًا لا يساعدها،
في هجرانها الجليدي، ظلت
مهووسة بالشمس كحزينة
مريضة ترغب في اتقاد أبدي،

وملفوفة في معطفها المبطن الناعم الدافئ،
وتمر بليلة شتاء قاسية

في حالم دافئ بالأمسية في نيزا.
رحل المتسول عن الباب...
حاجباه المقضبان يقولان شيئًا مقبضًا للغاية،
كأن ألمًا ما قد سقط بين الصدقات

في يده المفتوحة.
المريضُ المزمن في المستشفى، الذي يحتضر،
يشكّ، بلا مبالاة، في المنتصرة الكبيرة،
كحالم في اليقظة، يرى العالم
يمرُ ملفوفًا في الغيوم، بينما ينتظر ساعته...

في لحظة سامية تسقط الجبهة

كقاطع طريق، يبكي بجوار المقصلة،
ويلقي بوداعه الأخير،

وبعد ذلك حصل على العفو.
...هل هو الخوف يا أخي؟ ألا تسمع كيف تزأر الرياح
في الشارع الخاوي المعتم؟...

إن عرفتَ! ليلة أمس، بجوار بيتي،
مرَّ الجنون بتعبيرات ساخرة على وجهه.

في الظل

حلَّ الليلُ بنبرةٍ عنيفةٍ.

كان المساء يتراجع ويبكي خوفًا،

وفي سجون عميقة مفتوحة، يمكن سماع
خيول الريح بينما تركض بجنون.

إطار دموي لا نهائي

يحيطُ بالرداء المتقشف الذي يغطي كلَّ شيءٍ.

كان غموضٌ في رمزٍ أسود يضحك،
كاشفًا في ضحكته عن بهجةٍ مُرعبةٍ.

أطلق الشرُّ عقال مسوخ الرذيلة.

كان حواريٌّ يسير مُتجهًا إلى التضحية...

بينما يتغنى بأفكاره المثالية الكبيرة، القوية،

أظل أتغنى بأفكاره المثالية القوية
وهناك، تحت تهديد الظلال القاتلة،

كان المساء يتراجع باكيًا من الخوف...

عتابٌ موسيقي

إن جلستِ بجوار البيانو، كما ليلة أمس،
غير مكترثةٍ بتوسلاتي، قليلة الكلام،
هاربة من ذلك الهواء الفاجنري

الذي تعرفينه. نعم، مثل ليلة مأساوية،

تأتين بظل الصمت النزق

لغيرة فريدة ومتأخرة،
وسنعود لتناول الموضوع

القديم المثير للغضب عن «لِمَ» ضجرك.
هل ترين يا محبوبة؟ لقد صدر الصوت
الكئيب المهيب للمايسترو، ها قد ظهرت

الكآبة الأوركسترالية على ملامحه الجادة،

والضجر يعدي روح أزرار البيانو
توقفي يا مجنونة عن العزف... تعالي
حالمةً وداوي توتر أعصابك، زهرة الأنيميا،
بالضحكات التي تتقطر عبر الفلتر

الأحمر للموسيقى البوهيمية؛

.....
التي تُعلن، في الأمسية الطويلة
عن نوبات سُكر مُباركة، العودة
المُقدَّرة للأجساد المُسمرة تحت الشمس

في منتصف نهار القُبَل!
اضحكي وغنِّي؛ فيصبح الوجه النافر جميلًا،
وكما في السابق، حنجرتك الغاوية
ستسكب في كأسي السوداء النبيذَ الغريبَ
لنغمة دافئة خاطية.
لا تحدثيني ثانيةً عن نهر الرين...
تلك السموات تُمطرُ أحزانًا عن أساطير فاجنر...

وماذا تريدين!... اليوم توجد في رأسي
غيوم أكثر من موسيقاك الألمانية!...

تحت الكرب

بالأمس، تغنى سعال صدرك
بأنشودة الموت،
وعندما غرق في النغمات المُحمرَّة،

ظهرت زهور من الدم في المنديل.

-مسكينةٌ هي الأجساد المريضة،

التي تنهبها الحمى النارية،
يمتلك الشتاء كفنًا أبيض
للطيبات، الحزينات...

...انظري: تلحَّفي جيدًا يا أختي،
انظري: تلحَّفي جيدًا،

أنا لا أريد رؤية الساحرة ذات الأصابع النحيفة الباردة،
بينما تغلق عينيك...

يا أختي. أشعر بالألم

إن سمعتك تتأوهين،
وأحدسُ بنوبات الجليد الليلية الأخيرة،

الكامنة في الشجرة المريضة.

إن عرفتِ!.... عيناك شديدتا السواد
تبدوان لي شمعتين كئيبتين!

ووجهك العابس المريض

يبدو لي شعارًا مأساويًّا على الحِداد.

إن عرفت!.... أحيانًا تتنازعني

رؤاك الدامية...لا أنام
عندما أُفكر، دائمًا ما تكون أذناي منتبهتين،

أنك تمضين الليل في السعال...

عندما أفكرُ في حياتك المُحطمة،

عندما أرى في أحلامي كيف تتبخر
أعصابك الملتهبة المُرهقة،

وكيف تتحرك وتخترق هيكلك العظمي...

يا أختي: الجو بادر، وحانت ساعة
الدفء الناعم في الفراش،

لكن غيري الغطاء؛ ذلك الأبيض
يذكرني بكفن الموتى!

وجهًا لوجه

ليلة أمس، رحلت المريضة عن الحياة،
تحررت أخيرًا من كلِّ أمراضها.

رحلت دون منغصات، كنسيان،
مُبتسمةً في لحظاتها الأخيرة.

أمهات الحي، يغمغمن بصلوات،

لأبعاد النوم الأبدي المُحتمل،
كُن يسهرن بجوارها
بوجوه حزينة،
بينما يواسين اليتامى المساكين بعطف...

الفتاة متينة البدن، التي تعيش في السطح الآخر،
وضعت ابنها هذا المساء. تتأمل بمتعة

زهرة لياليها: ذلك الحب الصغير،
المعجون بلحم براق.
الزوج، المُبتهج، يبدو طفلًا
يُمسك بين يديه بالهدية التي وصلته في النهاية،

وبتعبير صريح قوي،

يجهز ذراعيه لغزوات ذكورية جديدة
... امرأتان لا يمكن نسيانهن! كلتاهما وجهًا لوجه.
كلتا المحسنتين اللتين لا يمكن أن تتصالحا؛

دائمًا ما يسكبن يرقاتهن الشريرة
في البطن غير المحسوسة للساعات...

... كم السماء حزينةً! كيف تصيبني عدوى
الآلام الأخيرة للضوء المنهزم!...

غني يا محبوبتنا، أغنية الانتصار
الأغنيةَ الأبدية للحياة الأبدية!

في الشتاء

بردٌ ورياح. وقد نامت العجوز
بينما ترتعد، في البيت البائس،

وفي الغرفة، مهجورةً كالعادة،
تتأوه المريضة المسكينة وتسعل، دون راحة.

آه، يا لها من ليلة! يبدو أنني أرى شموعًا

غريبة حمراء في الشوارع الخاوية...

وبسهاد كئيب يمرُّ الكرب،

في أفواج صامتة!

أمٌّ، أختٌ، ابنة أخ، قديسات متفهمات
للبؤس المأساوي، وتنتحبن:

ماذا سيحدث للمرضى هذه الليلة
المليئة بالبشارات المثيرة للقلق؟

آه، الحيوات، المحكوم عليها
بعذاب الحمى الفظيعة في الفراش...!

مسكينة هي الرئات التي لا تصل

إلى الشهر الذهبي للشمس والزهور!
آه، اللحم، الذي يبدو مُستسلمًا

والذي يحلم بأملٍ، لكنه لا ينتظر...!

مسكينة المريضة التي لا شفاء لها، والتي تموت

بينما تتوق إلى ربيع عذب!

آه، البياض البارد: المميت،
لدى العرائس الراحلات، اللائي
يتزوجن في رحلاتهن إلى بلد الممنوع

من فتيان شاحبين مريضين بالسل!...

جنازات عربيدية

بالأمس في الحانة،
سكيرٌ، قسٌّ النبيذ،

قال بحزنٍ لمسكور آخر، غير نادم،
بينما يشرب الكوب الصباحي الأول:

أحملُ في داخلي جنيًا صامتًا

أو سلطةً لا تتخلى مُطلقًا عن:

عدو مجهول ورذيل
ينبش في جراح متعتي،
ساكبًا الماء القوي

للكرُه والكرب. (ذلك الماء غزير

في ضفاف الموت الخشنة

ويتغلغل فيّ مع ريِّ الألم).

لهذا السبب ذاته لدي تمردات
عصية على التحديد لصراع هذيان

يجعلني فقط أرى المستحيلات

حيث يسقط الجهد في كل لحظة،
مُعذبًا ومهزومًا

أمام القوى الوحشية
التي تلعن يوميًّا الروحَ الساقطة

لدى سماع مونولوجات الألم.

سيطرة مُهلكة، مُشوِّشة،

من المجهول الأكبر الذي يجبرني
على حراسة الشر، ساعة بعد ساعة،

مُلقيًا التعب خلف ظهري.

وهذا هو طغيان الانتقام

لمسخ مُهلِك، يده

كمصيرٍ مُرعب، وتلحق بي دائمًا.

لكنني أفكرُ أن يومًا ليس ببعيد

-عندما أسقط تحت المائدة
لكي لا أنهض بعد ذلك مُطلقًا-

فإن ذلك الجني الذي يملكُ روحي أسيرةً
سيقرر، ربما، أن يتركني.

وحينئذ سأكون قد مُتُّ.
مرحبًا أيتها المحبوبة الأبدية، المُحرِّرة،

وعندما يُهرقُ نبيذ الحياة من كوبي

ستكونين المُدافعة.

من الليكور الفظيع، الأكثر مرارة،
ستصلني القطرات كقُبلات،

في الرحلة الأخيرة -القاسية الطويلة!-
سأجد شفاءً لعظامي المسكينة.
حينئذ، يمكن سماع نشيد البهجة
في كل تجمعات الرذيلة،

وفي مذبح الحانة الباردة
تزهرُ فروع كرمٍ مجيد،

كحفل هائل لجني العنب

يتم الاحتفال به
بالكأس الحالمة المترعة
المرفوعة فوق الضجر المبهظ!
الشاربون القدامى

يغمغمون بنغمات حزينة،

في مزامير أنين عربيدية،

بينما يسمعون عظة المهزومين؛
وبصمتٍ، مليئين بالمسحة،

تحت قدسية ذكريات الإيمان،
سيبللون طرف مرشة

في الدم الفاني في البراميل،
لتبليل تابوتي

بالخلاصة الخفيفة المتبخرة،
التي ستصل قدرتها المُسكِرة حتى كفني
المُغطى بعناقيد العنب والزهور.

وبعد إجراء تضحيات غريبة،
أظلُّ هادئًا للغاية، وربما تتبع الساحرات
جنازتي كما في الصلوات أيام السبت؛
وبعد ذلك، في النهاية، كلبٌ ما
مجنون، أو ساخر أو عراف،

-مُحبٌّ متحمس للأشياء الجميلة-
في مخبأ أسود منعزل،
سينبح بالمرثية تجاه النجوم!